ملحمة الشاة

شعبان مصطفى الدمنهورى

رواية شعرية

ملحمة الشاة

رواية شعرية :

للشاعر /

شعبان مصطفى الدمنهوري

عصر الشاة (عصر التجوال الذهبي)

١

في جوف صحار قاحلة
ما مسّتها يوما قطرة
جبال سود تتكاتف
كي تحجب أرضا منبسطة
تعزلها تماما عن خارج
إلا ما يندر من فجوة
الأرض براح ممتد
ينفسح بعيدا للأفق
تذرعها جزر من عشب
لا يجمعها أي نسق
مرواها عين مخبوءة
يأتيها ماء كالدفق
لا يدري أحد مصدره
ويعلو على وعي الحذق
فلعله ذكرى حاضرة
لعصور ماطرة بادت
أو علّ هنالك في البعد
أنهارا من ماء فاضت
والماء المنساب تخفى
في جوف صحار قد مادت
ليشقّ طريقا سريا
مقصده أرض قد غاضت
ليعيل حياة تطلبه
ويزيح صحاري قد سادت

٢

الأرض المنبسطة بكر
لم يدرك سرها حيوان
هي و العشب المنتشر

كم مر عليهما أزمان
غير أنه ذات أصيل
اندفع إليها شاتان
وما أن لمحا العشب
حتى انطلقا يستبقان
لا يدري أحد سرهما
وكيف وصلا للساحة
وكيف اجتازا الصحراء
من دون زاد أو راحة
-- علّهما ضلّا من راع
انشغل عنهما بشئونه
ولعلّه حين افتقدهما
بثّ في أثرهما عيونه
حتى قادته لصحراء
تُهلك من تخدعه ظنونه
فعاد لبيته محزونا
ففراقهما زاد همومه
-- ولعلّ وحشا هاجهما
فنفرا طلبا لحياة
وفرّا بحثا عن ملجأ
وخطاهما أفضت لفلاة
وفلاتهما رغم القحط
أهدتهما باب نجاة
-- ولعلّهما بقايا قطيع
يرتحل بحثا عن عشب
راقصته الصحراء بأمل
فاندفع فيها عن رغب
حتى ابتلعته فهلكته
أفنته ظهرا عن قلب
لم يبق إلا شاتانا

أنجتهما صدف كالعجب
ـ آلاف آلاف لعلّهما
لكن الهام بأمرهما
أنهما قد وصلا الساحة
وبذاك سيبتدئا تاريخا
تتالى فصوله وضّاحة
مسرحه الساحة و أعشابها
وجبال تحصرها صراحة
فهدوء الساحة قد ولّى
ولتقبل وعدها بسماحة

٣

شاتانا شبعا من جوع
وكذلك برئا من قرح
شاتانا ارتاحا من جهد
والنفس شفيت من ترح
شاتانا لهوا و انطلقا
شاتانا رقصا من فرح
فالعشب غض و وفير
فلتمض حياتهما بمرح
ـ لكن البطن إن شبعت
والبدن تطامن و ارتاح
فهنالك رغبة ستنادي
عاطفة تشرع في صياح
شاتانا ذكر و فتاة
إن جُمعا فهناك لقاح
وهنالك أثر للّقح
شياه أخرى تنداح
كي تكبر و تعيد الدورة
وقطيعها يصحبه نجاح
ـ بضع سنوات لا أكثر

شاتانا صارا عشرات
قطيع بضّ يتهادى
يطوّف بين الباحات
يحصد ما فيها من عشب
لا يخشى نقص الوجبات
٤
عصر ذهبي عاشته
ليس هنالك ما يشغلها
ما بين الأكل و اللقح
ستمضي كافة أيامها
تتنقل بين الباحات
الشمس ضياء يغسلها
وهواها عبير يأسرها
والليل دسار يجمعها
تَجاورها دفء يعبرها
وهناك ماسات تعلوها
تشع ضياء يبهرها
والقمر العالي مقياس
للحسن قار بخاطرها
فالنعجة البضة يرضيها
كبش يدعوها بالبدر
والكبش قرناه هلال
إن ذكرا يذكر في الأثر
٥
يا لطف ساحة تجمعهم
تمنحهم عشبا يكفيهم
من ثمّ يرتاحوا بكسل
ليس هنالك ما يعنيهم
فعلاما ينشغلوا بهمّ
والعالم أجمع يحابيهم

ما داموا قد أمنوا و شبعوا
ليس هنالك ما يشقيهم
غير ما يطرأ من غِيَر
تعكر صفو لياليهم
فهناؤهم قيد الساحة
إذ ليس الأمر بأيديهم
ـــ فالساحة إن جادت سعدوا
لكنها قد تغدر حينا
إذ ذاك الكارثة تحلّ
فلأمر ما تفرط حينا
والخير فيها يتضاعف
وتشمل بركتها الكلّ
والغنم الشبعى المرتاحة
لقحتها نار قداحة
ستصيب شرارتها الكلّ
وقطيعها يتضاعف عدده
وعديدها يسدر في سعده
حتى يفجأها الذلّ
إذ كرم الساحة قد ولى
والعشب المفرط يتدنى
والجوع سيف سيسل
كارثة تامة تتحقق
أكباد حارة تتفتت
وعقدها فورا ينحلّ
والموت بمنجله الحامي
محصده الضاوي و النامي
سيذوق مرارته الجلّ
ستدوم الكارثة زمانا
لن يبقى غير أغنام
يكفيها العشب و إن قل

ورويدا تنزاح الغمة
والغنم تعاودها الهمة
والعيش الصافي سيحلّ
٦
تلك الأحداث و إن قلت
ستلقنهم أقسى درس
ما داموا رهنا بالساحة
فهناؤهم مأفل شمس
فالساحة برؤياهم سجن
أُحكم إغلاقه كالرمس
إن راموا ديمومة سعد
فلينجوا من ذاك الحبس
ولديهم خبرة تتراكم
وتعلو سماءهم كشمس
لتنير خافي دروبهم
وتمحو ما بها من طمس
و بذا تمنحهم مستقبلا
يرونه أفضل من الأمس
-- فالماء المنحبس بصخر
لا يرضى حبسا يقاسيه
بل يسعى في جوف الصخر
بحثا عن مخرج يُنجيه
وكأنه رغم الجمد
واع خبرته تهديه
إن جُبِه بصلب يُعجزه
يهجره و يترك أراضيه
بحثا عن رخو يُجاوبه
ينهار تحت مساقيه
إذ ذاك سيتوالى ضغطه
حتى تنجح مساعيه

٧

كالماء المنحبس تماما
ستجد الأغنام طريقة
لتخضع ساحتها إليها
وتحيا وهما كحقيقة
فالماء المنحبس يحاول
حتى يتفجر كقذيفة
الغنم كذلك خبرتها ستحررها
من قيد الساحة على مصيرها
فخلال التجوال ستجمع
أفكارا عزّ تصورها
وحدات من خير الجوهر
ينقصها خيط ينظمها
-- فستلحظ أن الأعشاب
تنتظم خيرا و نماء
إن قلبت تربتها بموعد
علمته بنظر في سماء
-- وستلحظ أن بعرتها
خير للعشب تنميه
تمنحه طولا و غضاضة
تسري بكافة نواحيه
-- وستلحظ أن الماء
ليس مفيدا على إطلاقه
إن زاد عن حد معين
أو جاء في غير ميعاد
يصبح للعشب إهلاكه
لذا يحسن حينا إمساكه
ويحسن حينا إغداقه

٨

برغم قوة ملاحظة

تؤكّد فطنة و ذكاء
الأغنام ظلّت حينا
تسعى في الساحة رعناء
تفتقر لخطة محكمة
حتى كان ذات مساء
جلست كلها للراحة
تبدد جوعا و عناء
بعد أن شبعت معدتها
انسلت نعجة عجفاء
من بين الغنم لتواجه
قطيعها بوضوح و جلاء
-- ثم ثاغت :
هل أدركتم بعض أمور
تمنحنا عشبا و نماء؟
-- ردوا جميعا :
ندرك طبعا
قلب الأرض
خلط البعر
ضبط الماء
لكن جمعنا يتحيّر
في خطة تمنحنا رخاء
-- سحبت نفسا
ثاغت فخرا :
عندي خطة
فلنتخيّر جزيرة عشب
من بين جزر ساحتنا
من ثم نجمع بعراتنا
في كومة جنب جزيرتنا
ولنتريّث
حتى نوشك أن ننهي منها عشبتنا

من ثمّ نتحد جميعا
ولنتتبع نبع الماء
لنعمّق حفرته كثيرا
ولنحضر صخرة صماء
نطرحها هنالك في مسيره
وبذلك نحبسه رخاء
نأخذ منه قدر الحاجة
لن يذهب إياه جفاء
والأرض كذلك نحفرها
بحوافر حادة جرداء
وإن صعب صخرها على حفر
فلدينا كباش قرناء
والبعر كذلك ننقله
ننثره هنالك حكماء
من ثم نترك شاتين
في الباحة للعمل الهام
فالعشب يحتاج رعاية
والسقية يضبطها نظام
طعامهما ما بقى من عشب
حتى ينبت عشب نام
والباقي يرحل كي يرعى
ليرجع منتصف العام

-- صاح الجمع :

نعم الرأي
وشرعوا فورا في العمل
وسريعا أنجزوا خطتهم
بحسن تعاون مع بذلّ
وتركوا صاحبة الخطة
رفقتها أخرى للعمل
وارتحلوا جميعا كي يرعوا

وعادوا تماما في الأجل
ليجدوا مفاجأة كبرى
فاقت ما قدّروا من أمل
فالعشب غابات مكتملة
والأرض تنأى بالحمل

-- قفزوا مرحا
ثاغوا فرحا :

خطتنا تعمل و بسرعة
يا للروعة
ما عدنا في قيد الساحة
اجتزنا الصرعة
لن نترك أرض جزيرتنا
ما من لوعة
فالعشب فيها يكفينا
والجوع ولى بلا رجعة

٩

حلمهم كما جاء سريعا
ولّى فظيعا و مريعا
لم يمضِ شهر أو أكثر
حتى كانَ العشب صريعا
وكأن نارا لفحته
إذ جافا قد خرّ سريعا
من ثمّ ريح جاءتهم
وأساءت في القوم صنيعا
إذ هبّت على العشب جميعه
حصدته عاليا و و ضيعا

-- الأغنام أبهتها المنظر
أورثها غما و شقاء
ثاغت جماعتها من يأس :

ضاع الأمل

بئس بلاء

-- إحداها ثاغت مهمومة :

ما أفشلنا
دبرنا و ساء تدبيرنا
وظننا أن بمكنتنا
قيد مصيرنا
وحسبنا عيش التجوال
جهدا نالنا
وتركنا رعيا مضمونا
ما أبطرنا
فعشب الساحة المتناثر
كان يُعيلنا
لكننا مِلنا للراحة
فتأثمنا
وجرينا خلف الأوهام
فتحطّمنا

-- ثاغت أخرى :

تلك عقوبة
فابكوا إهانتكم للساحة
الساحة آوت أجدادنا
قبلتهم بكل سماحة
من جوف جحيم قد جاءوا
لينالوا قسطا من راحة
منحتهم عشبا يكفيهم
ومكانا رحبا يأويهم
وجوا صفوا يشفيهم
والثمن صفقة سرية
لا يكشف عنها بصراحة
الثمن رضاء بمصيرنا
عرفانا بفضل الساحة

لا أن نبصرها كالقيد
ونتحداها بوقاحة
أخطأنا جميعا فاعترفوا
فلنرجُ عفوا و سماحة
ولنبكِ ذنبا مقترفا
ولنرجع إلى حضن الساحة

-- الشاة صاحبة الفكرة
ثاغت غضبا :

أية ساحة؟!
الساحة مجرد أشياء
أحجار و صخور جُرْد
وجُزر تطفر بالعشب
وعين تنبع بالماء
من يمنح إياها إرادة
أو ينسب لإياها رغبة
يحكي أفكارا رعناء
جدّانا بلغاها صدفة
كانت موجودة قبلهما
وتملك نفس الأشياء
كانت تملكها بتمامها
دون وجود ينهل منها
أفأكثر من ذاك غباء
إن كانت ساحتنا مُريدة
فالأرجح أنها حمقاء
لكن حاشاها من حمق
فالحمق مداره على رغبة
ساحتنا منها جرداء
ويحق لأي من كان
أن يفعل فيها ما شاء
لا يتوجس أي إيذاء

فالساحة خلو من رغبة
ليس فيها ظلّ إرادة
ليست سوى أرض صماء
-- لذا لن أنكص على عقبي
وسأسعى دوما على دربي
لن يثنيني فشلي مرة
سأعاود لأحقق قصدي
من يعجبه عيش الرعي
تفتنه حياة التجوال
فأمامه الساحة فليفعل
وليُسلم هامته مريدا
للساحة لتقوده بليدا
بقضاء الساحة فليقبل
حتى لو رحل جمعكم
فالساحة هنالك قصدكم
سأبقى وحدي لن أرحل
لكني و حبا في الصحبة
أهيبكم منحي فرصة
علّي أتوصل للأفضل
-- الفشل الحادث حلّلته
ومناط الخطأ أدركته
وبظني يمكن تفاديه
أخطأنا حين تصوّرنا
أن العشب سوف يدوم
يمنحنا فضل أياديه
فهنالك حينا للعشب
فيه ينمو و يتعاظم
وينال كل مراميه
في حين آخر سيجف
يذبل عوده

ويؤول جميعه للتيه
وأحسب أني لاحظته
أدركت كافة مواعيده
أدرك حين ينمو سريعا
وحين يجفّ على عوده
والرأي عندي نُخزّنه
فنأمن خلفه لوعوده

-- ثاغت شاة :

ما نُخزّنه؟

-- ردّت :

نحميه من التلف
إذ نحصده أوان نموه
ونخبئه بموضع مخفي
لا تبلغه الشمس الحارة
أو ريح تُعجب بالعصف
هو أمر نعلمه جميعا
ورأيناه رأي الكشف
فالعشب المخبوء بفجوة
هو أمر يحدث بالصدف
يظل سليما و نراه
تمضي أزمان بلا تلف

-- من منكم تعجبه سماء
و يتابعها بشغف كاف؟

-- ردت أغنام :

نحن

-- من منكم أبصر ياقوتة
تشع بضوء شفاف
فيطير اللب بفتنتها
يتبعها مصرّا بشغاف؟

-- نفس الأغنام :

نحن
لكنها تمضي سريعا
ذاك أمر ليس بخاف
-- من منكم لاحظ عودتها
بعد زمان لفاف؟

-- نفس الأغنام :

نحن
-- من منكم قدّر عودتها
بحساب دورات القمر؟

-- ردت شاتان لا أكثر :

نحن ندرك ذاك الأمر
من حين ظهور ياقوتتنا
لحين غيابها عن نظر
القمر يدور بساحتنا
دورتين بحساب الفكر
يتبعهم عشرة دورات
إذ ذاك تعود ياقوتتنا
وكأنها آبت من سفر
-- من منكم لفتته علاقة
بين ياقوتتنا و العشب؟

-- جابهها صمت مطبق
فشرعت فورا في السرد :

هناك علاقة يقينية
تربط ياقوتتنا بالعشب
فالعشب إن تظهر ينمو
ويسيرا سويا في الدرب
إن زاد ضوؤها يتزايد
ويكون نموه على الرحب
إن خفت ضوؤها يتناقص
وكأنما يشرع في الهرب

بل إن نموه يتوقف
حين تختفي من الدرب
لكنه يبقى غضا
خمس دورات للقمر
ثم يجف و يتحطم
وأرضه تخلو من أثر
حتى تعود ياقوتتنا
فيعود نموه بالبشر
-- فهنالك سر بينهما
لا ندريه
--- علّهما خلان يفترقان
لأمر خفيت مراميه
لكن شملهما يجتمع
في موعد ثابت منتظم
وكلاهما يُظهر خافيه
ياقوتتنا ترقص برّاقة
والعشب يشرع في التيه
--- أو علّ ضوء ياقوتتنا
غذاء هام للعشب
كالبعر و الماء الصافى
وما تبغي التربة من قلب
لذا فنموه يحتاجه
ويهفو إليه عن رغب
--- ولعلّ أشياء أخرى
لا تعنينا
فقيام علاقة بينهما
ذاك تماما ما يعنينا
يجعلنا نُحكم خطتنا
وننجو مما يشقينا
-- ما أفشلنا تلك المرة

أنكم أبطأتم في العودة
أربع دورات للقمر
والعشب يتراقص بهجة
ليس هنالك من يأكله
فضاع هباء بلا عودة
ـــ لذا سنعدّل خطتنا
لنضمن وفرة عشبتنا
سنعد أرض باحتنا
سويا كسابق فعلتنا
ثم نتركها و نتوجه
للساحة بحثا عن رعي
أربع دورات للقمر
نحسبها جميعا عن وعي
ثم منفردة أقصدها
وأخف إليها في السعي
حتى أرعاها و أرويها
فحياتها في ضبط الري
أما بقيتكم فتظلّ
حتى تتألق ياقوتتنا
إذ ذاك حسابات تجرى
للقمر المتألق معها
يكمل دورة
ثم الأخرى
ثم فورا بلا إبطاء
يتجه الجمع إلى الباحة
فالعشب إذ ذلك يستشري
نرعاه هنيئا و مريئا
أربع دورات للقمر
ثم نتخيّر فجوات
متسعة في جوف الصخر

نجعلها خزائن للعشب
من ثم نبدأ في الحصد
أكوام تلو أكواما
ننقلها جميعا كالركب
وبذلك نضمن مرعانا
مرّ العام
لا نشكو جوعا يفجؤنا
لا نخشى كذلك من تعب

-- الجمع رد استسلاما :

لا بأس
تجربة أخرى نُجريها
لن نفقد شيئا سيُحس
بعض مجهود لا أكثر
لن يدفعنا نحو الرمس
أما لو نجحت خطتنا
فسترحل أيام البؤس
سيمضي زمان الترحال
والعشب المضطرب نموه
والخوف كذلك سيُزال
الأمن سيحلّ محلّه
البطن إن شبعت في ثقة
والبدن تخلص من كدّ
العقل سينجو من همه
ليقرّ سعيدا و هنيئا
ويفيض علينا من درره

١٠

الأغنام شرعت في العمل
والخطة سارت بنجاح
دورتهم مرّت كما رغبوا
و الكلّ سعيد مرتاح

فزمان هنائهم يطلّ
وعهد الذل إلى رواح
فبجهد محدود تافه
يجنون أقصى الأرباح
كما أن الآتي سيرضيهم
بأفكار أصفى من الراح

-- صاحبة الخطة تجمعهم
لتخاطبهم ذات صباح :

أخواتي ألاحظتم مثلي
بعض العشب لا نأكله
مذاقه سيئ و قوامه
جاف لا يُرجى تناوله؟

-- ردوا جميعا :

نلحظ ذلك
لذاك نعافه و نهجره

-- ردت :

لكننا إذ نتركه ندا
للعشب الجيّد يجاوره
فينازعه محض غذائه
وينال منه و يحرمه
والرأي عندي نعدمه
من حق نمو نحرمه

-- ردوا جميعا :

أنى ذلك و العشب جميعا يشبهه؟

-- ردت :

لكني أميزه صغيرا
وسأرشدكم على مظهره
وباكرا نبعده سريعا
وعشبنا ينمو بمفرده

-- ثم ثنّت :

هل لاحظتم مثلي مفردة العقد ؟

-- ردوا نفيا

فأجابت :

هى عشبة سيدة العشب
مذاق رائع و غذاء
يجعل عودك يشتد
هى عشبة صغيرة تتخفى
وكأنها تخشى من فقد
كصغيرة أمها تركتها
فتوارت حتى ترتد
لكنها رغم تضاؤلها
تحوي عقدا أيما عقد
يحوي ثمرة بنت نعيم
بمذاق يمنحك الرشد
مهما كان فكرك عكرا
سيؤول سريعا للضد

-- رد البعض :

نعرفها
كنّا في المرعى نقابلها
تأسرنا ساعة بعبيرها
تمنحنا نعيما بنعيمها
لكن يال ندرتها
يا سعد زمان يحضرها

-- ردت :

مفردة العقد أميّزها
نبتة صغيرة
والعشب صغير يجاورها
نعم الجيرة
تنتشر بجنبات الباحة
بوفرة كثيرة

غير أنـها تتناقص
إذ ينمو العشب و يتكاثر
فعلّه يغدرها غذاءها
من ثم تذوي و تتحاقر
أو علّنا أثناء الرعي
نهلكها عفو الحافر
لكني إليها سأرشدكم
فنميزها
من باكر نخلي موضعها
فنفرّدها
لترتاح من جيرة عشب
علّه كان يسرقها
كما أنـها أيضا تتميز
كي نبصرها
فنتفاداها أوان الرعي
ولا نـهلكها
وبذاك نظل نرعاها
وننضجها
من ثم جميعا نحصدها
في مكان خاص نخزنـها
وعلينـا جميعا نقسمها
ثم بالحكمة نـأكلها
كي نبقى طويلا في نعيمها

-- ثاغ الجمع :

نعم الرأي
خططتك جار تنفيذها

بداية عصر الكبش (عصر القوة الغُفلة)

١

بذلك للجمع اكتملت
أركان راحة أرادوها
أرض خصبة ذات براح
العشب هنالك يغزوها
عشب غض تام نقاء
وكذلك عشبة أخفوها
كي تنمو و تمنحهم ثمرة
الكل جميعا يرجوها
وهناك مخازن في الصخر
ملؤها أعشاب حصدوها
وبذاك الأغنام ظنت أن الآتي
أيام هناء يحيوها
لم يدروا أن المستقبل
يخفي معاناة خلقوها
ـ ما فات عصر قد ولى
كلحن قد خفت سماعه
عصر ذهبي فقدته
ما عاد بوسعها إرجاعه
ما طرأ عليها من حال
لن تملك أبدا إخضاعه
نمط يتشكل في حياتها
سيكون عليها اتباعه
ـ فالحال الطارئ كالطفل
قد خرج توا لوجود
من رحم كان يكفله
برخاء غير محدود
أمنا و غذاء يُطعمه
والخوف هنالك مفقود

مهما بكاه مرّ حياته
أبدا أبدا ليس يعود
-- فالحال الطارئ أدواته
يدعمها تعقّد علاقاته
سيشكلا وعي الأغنام
سيفجّرا طاقات خفيت
كانوا عنها مثل نيام
سيأسر أفكارهم حتى
يتعلقوا فيه بهيام
إن يشكوا منه فشكواهم
لا تتعدى سبك كلام
-- عصر الشاة قد ولّى
وسيبقى هنالك في الماضى
ذكرى سعيدة
يذكرها البعض بتنهيدة
وعصر الكبش قد حلّ
ليظلل واقعا يتشكل
دنيا جديدة
الغنم تحياها مُريدة
-- في عصر الشاة الترحال كان ضرورة
سعيا خلف جزر العشب
لذاك بقاء الأغنام كان رهينة
بما تحوي شياهها من خصب
فخصوبتها خير ضمان
حين تُكشّر ساحتها
وتكشف عن وجه الرعب
لذلك كانت مرهوبة
والكلّ كان يُقدّرها
يمنحها موفور الحب
حكمتها كانت نبراسا

يهديهم إن وعر الدرب
--- فبحكمتها جمعت شمل القطعان
--- وبحكمتها قادتهم بين الوديان
كي يرعوا العشب و إن قلّ
إن حلّ زمان النسيان
--- وبحكمتها فهمت دورة
كانوا عنها كالعميان
-- لم تدرِ أن بفعلتها
ستفقد تاج السلطان
لم تدرِ أنها ستحرر
كبشها من أقسى عنان
ليحلّ عصره و يعلوها
يجعلها ترضى بهوان
-- ما كان يحرك أفكارها
أن تمنح رزقهم حصانة
ليظلّ دوما موفورا
ليجدوه برفق و رزانة
شغلها رزق غير حصين
تمنحه طبيعة خوانة
مهما منحت فضل طعام
إذ ليس لبقائه ضمانة
-- في عصر الشاة الأغنام
لم تدرك أمرا لنزاع
أو خُلفا أو حتى تنافس
لم تفهم معنى لصراع
فالشاة برفق تصحبهم
والكلّ لأمرها ينصاع
فالخُلف مداره الملكية
والملكية بنت قرار
كما أنها مجلاة القوة

حين يعزّ عليها مسار
في عصر الشاة و حكمتها
لن تجد لأيهما أثار
ما يغلق أبواب الخُلف
ويحرّر كبت الأشرار
فالكلّ تعلوه وداعة
والكلّ كذلك أخيار
لن يرد بخاطر أحدهم
خبث أو يطغى استهتار
ـ عصر براق عاشته
يخلو من حقد و تحاسد
وحياة كالنسمة لطفا
فالعمل يُنجز بتعاضد
ليعمّ على الكلّ سلام
يشملهم لاه أو راقد
وحياتهم لم يمسسها
شيء من فكر منحط
لم يطغ بعض على كل
أو كل على بعض شطّ
وكأنهم اشترطوا نعيما
والتزموا جميعا بالشرط

٢

الفكر للواقع ابن
ينتجه تشابك علاقات
فالواقع ينتج أفكاره
إذ ليس هنالك قفزات
فالزهرة تزين بيئتها
لكنها فرع لنبات
وهنالك أحداث تجري
في النبت لينتج زهرات

ـ المطر المتساقط أيضا
ليس سوى ابن لعلائق
لا ينتجه سحاب فائق
أو يحجبه جو رائق
فهنالك أحداث تجري
حتى يهطل مطر دافق
أحداث يحكمها تسلسل
فاللاحق ينتجه السابق
ـ فالماء المنداح فسيحا
يحبس قطراته و يمنعها
يخشاها تتركه و تهرب
ويضيع عليه تجمعها
لكن حر الشمس القاهر
يجبره حتى يُفلتها
إذ ذاك هواء متصاعد
يحملها معه و يُصعدها
في الأعلى هنالك تتكاثف
لتكوّن سحبا نبصرها
وتأتي الريح الجوالة
تدفعها هناك و تحصرها
وتظل تجول و تتحرك
من دون قطرة تُحرّرها
حتى تغزوها نويّات
تعصرها فتهطل أمطارها
ـ فالزهرة تتوّج ما تم
في جوف نباتها من فعل
والمطر تتابع أحداث
بدونها لا يحدث هطل
والفكر كذلك في الواقع
تنتجه علاقات غفل

إن غابت سيغيب يقينا
ويظل هنالك في الظلّ
لذا في حياة التجوال
ما كان للشر محلّ
-- حياة التجوال مشاع
محورها صحبة و تعاون
فالكلّ يسعى كمجموع
من دون تفاوت و تهاون
من شذّ مهلكه يقين
فالكلّ للكلّ معاون
أبواب الغلبة موصودة
والكلّ سعيد متطامن
-- الكبش بمقياس القوة
يربو على الشاة و يفريها
بأقران حادة صخرية
وكذا عضلات يحويها
مع ذلك لن يرد بباله
غصب للشاة أياديها
وسيتبعها محض مطيع
يهتبل الحكمة تأتيها
كما أن حياة الترحال
ستحمي القوة و تُنميها
إذ تمنحها أفضل مسرب
تحقق فيه تجليها
إن واجهتهم عقبة كؤود
من غير الكبش سيُرديها؟
-- لكن ذلك كله آل
مع الاستقرار إلى زوال
بضع سنوات لا أكثر
وانتقل الحال إلى حال

وعصر الشاة برمّته
لن يبقى منه سوى ظلال
ذكرى شاحبة تراودهم
يذكرها البعض كخيال
٣
في البدء الأغنام ارتاحت
وحياة التجوال ولّت
فالعشب وفير يحصرهم
وحياة هانئة طلّت
ومخازنهم ملؤها عشب
لا شيء منه يتفلّت
كما أن عشبة متعتهم
صارت موفورة و مضمونة
ذهبت أيام ندرتها
لم تعد بحظ مرهونة
حكمة الأغنام و حنكتها
جعلت مسالكها مأمونة
--- كما أن الأغنام اتخذت
مساكن من جوف الصخر
تحميها ليلا من برد
وتقيها نهارا من حر
وبذلك صارت سيدة
تخضع بيئتها عن قهر
وضعا براقا حسبته
سيرافقها أبد الدهر
لكنها كانت مخدوعة
ببرق يلمع للنظر
فالبرق اللامع بنظرها
سيتبعه فكر كالمطر
فكر سيقضّ مضاجعها

وسيشقيها باقي العمر
فقرارها أفضى لعلائق
ستفصح فورا عن نذر
ستعقّد بيئتها أكثر
وسيتوالى نبت الفكر
فكلّ فكرة سيتبعها
أفكار أخرى على الأثر
وتعقّد وضع الأغنام
وما يتبع ذلك من غير
سيدفعها للهرب أماما
وستُبصر ماضيها كحدر
مهما تغنت بمحاسنه
ليس سوى ماض منهجر
-- الغنم القارة استقرارها
من ماضي علائق حرّرها
فعلام تتعاون طرا
ما دام العشب يحاصرها؟
وعلام تخضع للشاة؟
وإلام برحمها تأسرها؟
فالعشب الوافر يصحبه
وفرة من نسل تبصرها
وإلام الأكباش ستقبل
مسربا للقوة يَحقُرها؟
ما دامت أمنت و ارتاحت
فلتبغ سبيلا يُظهرها
وبذاك الأغنام ستبدأ
صراعا سوف يُغيّرها
والخاسر سيصير رهينة
لكباش القوة و أغيارها
فإما يقبل بالذلّ

أو أن حياته يخسرها
-- وسريعا سيبدو تمايز
في قلب قطيع الأغنام
فهناك كباش للقوة
وبيدها كلّ الأحكام
قوة عضلاتها منحتها
الراحة مرّ الأيام
تغدو في الباحة بتكاسل
وتسيطر على أشهى طعام
وتقضي وقتها في الراحة
لا تشغل نفسها بمهام
-- فالعمل صار مرهونا
بأغنام تقرن بالذل
--- هي إما كباش مقهورة
هُزمت في صراعات القتل
ووهبوها حياتها للعمل
وإما تُذبح في الحقل
--- وإما كباش واهنة
يُرعبها مواجهة عتل
برضاها اختارات أن تعمل
فنجاتها في حسن العمل
--- وإما شياه بائسة
قد فقدت جاها مع دلٍ
-- الشاة فقدت سلطتها
إذ بصر الكبش بقوته
أنزلها موضعا منحطا
وبقهر القوةِ قبلته
وستعتاده بعد زمان
فلقهر القوةِ سلطته
والكلّ سينسى مع الوقت

عصر الشاة و روعته
وكأن الكبش من الأزل
يقتاد الكلّ برغبته
٤
وضع الشاة المنحطّ
كان مبدؤه مع اللقح
إذ فقدت فيه مكانتها
هبطت من القمة للسفح
بعد أن كان مشاركة
يخلو من الغلبة و الرجح
--- قطيع الماضى أشياهه
كانت كمشاع لكباشه
إذ ليس هنالك تخصيص
فالكلّ للكلّ لباسه
--- والشاة كانت مرغوبة
ما كانت أبدا مملوكة
ما كان هنالك تفضيل
فالشياه جميعها مطلوبة
--- والهدف كان الإنجاب
والولد كان كغنيمة
فالشاة الحامل كالحرم
من يقربها يأتى جريمة
حتى تتخفف من حمل
وتفطم خلفتها كريمة
--- وكان اللقح استلطافا
لم يمسسه ذرة قهر
إن رغب كبش في شاة
يراودها لطفا بلا جبر
إن رغبت سيتم الفعل
وإلا يرحل بلا نهر

--- لكن ما أن درى الكبش بذاته
واستشعر قوة عضلاته
تناسى رغبات الشاة
ورغب في اللقح لذاته
هذا و قد قرّ في يقينه
أن ليس حد لرغباته
إن رغب في شاة ستجيبه
فالأمر يعود لطلباته
وإلا سيُحطّمها جذاذا
وتصير ضحية غضباته
وتصبح لأمثالها عبرة
فيكنّ رهن إشاراته
--- فاللقح ما عاد شراكة
بل شهوة تغزوه فيبحث
عن شاة تشبع شهواته
وما أن يلقحها سيتركها
منشغلا بنعيم حياته
ما عادت تعنيه في شيء
ما عادت ضمن اهتماماته
--- فشياه الباحة أجمعها
ملك يمينه
فليلقح منهن من شاء
وليترك منهن من شاء
وفق ظنونه
إذ يُبدي رغبته أمرا
ويُشهر إرادته شهرا
ما دامت قوته تُعينه
-- لكن قطيع الأغنام
تتعدد فيه الأكباش
والكلّ يزهو بقوته

وسيصبح جمعهم محالا
والباحة تُفضي لزوال
إن علق الكلّ برغبته
هو أمر خبروه سريعا
عبر صراع كان مريعا
أطّر للكلّ إرادته
-- فالرغبة ليست مطلقة
فهناك صراع إرادات
وهناك توازن للقوة
يمنحها بعض مسارات
كي تفصح فيها عن ذاتها
من دون أي خسارات
وبذلك ظهر التخصيص
في إثره جاء التفضيل
ليصبا في بحر الملكية
فالملكية ولدت بحرا
أولى مياهه كانت لقحا
بدأت بالشاة الملكية
--- في ضوء توازن للقوة
التخصيص صار بداهة
فلِنزع فتيل لصراع
فليختر كلّ لمياهه
وليرضى كلّ بالقسمة
لا يشعل حربا بسفاهة
--- وكأي خيار خيارهم
سيقوده تفاوت قوتهم
فتحري أولات القوة
نسق سيعزز سلطتهم
فخيار العشواء سلوك
معناه تعادل قدرتهم

وبذاك يضيع تميّزهم
والعسف يغزو فكرتهم
--- وبذلك برز التفضيل
فالأقوى ليُبرز قوته
سيدعم قوته دليل
ودليله حرٌّ يتخير
لن يمنع رغبته دخيل
والأضعف تأكله الحسرة
فليصبر يغلبه الميل
حتى يُقبل دوره أيضا
ليكرّر نفس التفصيل
من ثمّ الأضعف فالأضعف
حتى آخر كبش عليل
-- وبذاك صفات عرضية
تحويها الشاة صارت ميزة
إن سمنت مثلا أو بضّت
أو كانت طلعتها بهيجة
أو وسعت عيناها مثلا
أو كانت مشيتها وئيدة
أو أي صفات ترغبها
أكباش رغبتها أكيدة
--- أما الشاة فستساير
أمرا فرض عليها بقوة
وستنسى تاريخا عاشته
كانت فيه كلّ القوة
وستتحامق كي تتقبل
موضعها في نطاق القوة
--- بعد أن كانت كالكبش
رغبتها تعدل رغبته
صارت في اللقح كتابعته

فالأمر يعود لرغبته
أفقدها تاجا يكسوها
صيّرها رهن إشارته
--- إن رغب لقحا ستُجيب
إن فرغ فورا سيغيب
لتعاود عملا في الحقل
من قبل شروق لمغيب
إن رغبت أمرا يأباه
فرجاها حتما سيخيب
وسترضى وضعا منحطا
بل عنه نفس ستطيب
من قلب جحيم يحرقها
وتصاعد ألسنة لهيب
ستراه ضوءا يهديها
إذ ليس هنالك ما يعيب
-- ما أحقر دركا بلغته
حين أخضعها للكبش خيار
إذ يغدو للحقل ليفحصها
بحثا عن أيها يختار
أتراها غضبُ أحرقها؟
أتراها جلّلها العار؟
لا لم يحدث
بل قبلت يملؤها فخار
--- فالوضع سريعا قبلته
ومناط التفضيل وعته
وستجهد نفسها لتطابق
رغبات الكبش و متعته
يبغونك بضّة و سمينة
لتكوني بضّة و سمينة
يبغونك طلعتك بهيجة

اجتهدي لتبدين بهيجة
يبغونك خطوتك رشيقة
فلتغذُ خطوتك رشيقة
يبغونك وفق إرادتهم
فلتغذُ إرادتكِ سليبة
--- أي جنون!
إذ أنى لملكة متوجة
أن ترفل في الذلّ بهيجة؟
--- الأمر بسيط في الواقع
الأمر مجرّد علاقات
لا ننحي على الشاة بلوم
أو نسم كباشا كبغاة
-- في عصر الترحال الذهبى
تناثر رزق الأغنام
وخضوعهم لحكم الساحة
قد نحّى كلّ الصراعات
مصلحة الكلّ تظلّلهم
وخوف شتات يجمعهم
والحكمة كانت نبراسا
أخضعهم طوعا للشاة
أما و قد قرّ الحال
وانقضى زمان الترحال
فصار لزاما تحرير
ما أخفوه من قدرات
--- أولاها القوة
فالقوة طاقة غُفل
تبحث دوما عن باب شُرع ليظهرها
ماء حُبس داخل صخرة
لن يهدأ حتى يغادرها
وهناك قطيع بتمامه

ستراه مجالا لعملها
--- ولأن الأمر علاقات
فصراعات القوة ستُنتج
مزيدا من تعقيدات
أولاها كان التخصيص
رفقته جاء التفضيل
من ثم أتت الملكية
-- الملكية بحر واسع
جوفه قحل
من ثم سريعا تتوارد
أمواه صوبه ترتحل
حتى يصبح بحرا طاما
الكل بجوفه ينسحل
بدأت باللقح الملكية
وسيتبعه باقي الحقل
بشياهه و كافة أغنامه
بل حتى بأحجاره المُحل
-- الملكية أعجب طاغ
رغم شروره
الكلّ بأمره يمتثل
بل يرجوه رجاء حارا
أن يرضى عنه و يبتهل
--- بقاء الأعشاب مشاع
في عرف القوة أوهام
فصراع القوة محتوم
لن يفضي يوما لسلام
إلا عبر توازن قوة
تقبله كلّ الأغنام
وبذلك ينضبط الوضع
والجمع يحيا فى وئام

--- فالأكباش الأكثر قوة
ستسعى حثيثا كي تُخضع
الباحة بكافة أغنامها
والأكباش الأخرى سترفض
وبذلك ينفلت عقال
والحرب تشتعل أوارها
وسيظل أوارها مشتعلا
يستنزف كلّ الأكباش
ليغوص الكلّ في أوحالها
هي حرب تفرضها ضرورة
إذ أنّى لكبش أن يقبل
مختارا يوما بخسارها
لذا فالحرب ستدوم
نارا مشتعلة تتلظى
والكلّ يُحرق بشرارها
حتى يقتنع جمعهم
أن الباحة أكبر منهم
إذ أنى لقوة تحصرها
-- الحرب قامت كضرورة
فالقوة تبحث عن منفذ
يُبرزها سيدة الصورة
فالغنم لزمت فكرتها
إذ حسبت أن قوتها
لأي شيء تبريره
لكن صراعها أقنعها
بأن القوة محدودة
شيء يتوجب تأطيره
لذاك اجتمعت تتناقش
تبحث عن حلّ يُنقذها
من درب يزداد وعورة

خبرتها المحدودة هدتها
لفكرة قريبا فعلتها
حسبتها نجاة من حيرة
--- صراع الغنم على العشب
ذكّرها بصراع فات
خاضته هناك على اللقح
أوشك أن يتبعه شتات
لولا التخصيص و حكمته
إذ أقصى كلّ حزازات
--- لذا فالحلّ التخصيص
لكنه ليس كالسابق
بل سيكون أكثر حسما
فالسابق يعلوه اللاحق
فالعشب ليس كالشاة
بعض ثوان ثم يفارق
فالكبش المخصوص بشيء
سيحُذه استحواذ الواثق
--- الباحة ستقسّم قطعا
تتفاوت بينها في مساحة
كلّ منها يُعطى لكبش
في إطار القوة الوضّاحة
فالأقوى سينال الأكبر
والكلّ سيقبل بسماحة
بل إن الفكرة ستتطور
حتى تشمل كلّ الباحة
--- فكلّ خيرات الباحة
ستوزع بين الأكباش
مخازنها و شياهها كافة
بل حتى ضعاف الأكباش
ظنّا منهم أن بذلك

ينتهي صراع الأكباش
--- الكبش سيأخذ قطعته
رفقتها شياه خاصته
وكذاك ضعافا للعمل
ومخازن لحصاد الحقل
-- بحر الملكية يكتمل
ما عاد ذاك المُمحل
فالقوة في يدها العمل
والآتي كفيل بتغيّر
سيعم الكلّ و يشتمل
فالقوة أضراب شتى
أدناها ببدن تحتمل
فالبدن يضعف و يشيخ
وكذاك تُحطّمه العلل
هو أمر سوف يتجسد
وستشمل لعنته الكلّ
٥
في البدء الكبش بضيعته
سيد مطلق
وشياهه و أكباش الضعف
قهر مطبق
تسعى للعمل مع السحر
حتى تغسق
--- فهنالك عشب ترعاه
وهنالك آخر تُبعده
وهنالك مجرى للري
ستوسعه و تُمهده
--- وهنالك سيدة العشب
سمّوها مفردة العقد
عشبة متعة

تحتاج عناية و رعاية
فوق الحدّ
--- وهنالك عشب تحصده
من ثم سوف تُمهّده
كي تنقله صوب مخازن
تحميه مما يهدّده
والعائد كله للسيد
إذ رزقها من فائض يده
فليرض جميع بكفاف
فداء الكبش و مقصده
-- لكن الضيعة و خيراتها
رهن بالكبش و قوته
وهنالك دوما من ينقم
عليه مطلق سلطته
يتحيّن فرصة ليجرّه
لصراع يجلب فرصته
فالكبش دوما في تحد
ليثبت مطلق قدرته

تنظيم القوة و ظهور المسخ

١

كباش القوة إذ رهنوا
الملكية بالقوة الغُفل
حصروها في صراع القوة
وحكموا عليها بالفشل
لكن عذرهم أنهم
لم يدروا شيئا عن بدل
إشكال واجههم حتى
صار منه الكلّ في وجل
بادروه برشح تفاعلهم
وليأتِ غدهم بالأمل
-- مرّ الأعوام على الأغنام
جعلها تدرك أمرا
أن سلطتها مهزوزة
ما دامت تُحصّلها قهرا
فالقوة دوما لزوال
هو أمر بصرته جهرا
--- يكفيها هزيمة في تحد
يكفيها شكوى من علّة
يكفيها ضعف الشيخوخة
وما تجلبه من ذلّة
لتنزع عنها أملاكها
وتمضي عمرها في معرّة
الأمر وقت لا أكثر
ليذوق الكلّ من الدورة
هو أمر قرّ في يقينهم
خبروه أكثر من مرة
لذاك اجتمعوا لنقاش
علّه يُنجيهم من حيرة

-- عندما قرّ جمعهم
كبش ثاغ :

لنقرّ جميعا بحقيقة
أن القوة بئس طريقة
تشعرك دنياك هنية
تأتيك رضية و رشيقة
لن تبصر يوما غضبتها
إذ دوما بسمتها رقيقة
هي موضع فخر تركبه
يُعليك معه في طريقه
حتى يصعدك إلى العالي
ترقص نشوة من تحليقه
حتى تأمنه من المكر
لا ظل خداع في سلوكه
ثم ينقلب للضد
يصليك لهيبا بحريقه
وتبصره موضع ذلّ
كم جاز خداعك ببريقه؟!

-- كبش آخر ثاغ بحسم :

بل طريقتنا نعم طريقة
فبدونها لن نعد السوقة
فبدونها نفقد هيبتنا
وتصبح دنيانا ركيكة
--- القوة سرّ تميزنا
من أجلها يخشانا الكلّ
لذا صار حتما حمايتها
وحفظها من عبث الكلّ
وإلا فقدنا مكانتنا
وصرنا ترابا للكلّ
--- القوة تاج يكسونا

لابد لنا أن نلبسه
والحقل جميعا يبصره
ليظلّ دوما يتبعه
والويل لنا كلّ الويل
لو كنا يوما نخلعه
لا أقصد قوة أفراد
محض القوة ما أقصده
--- الفرد قوته تزول
أمر أبصره من الحتم
فليرض كلّ بمصيره
لن تُجدي شكوى من الألم
لكن فلنحفظ فكرتنا
حتى لا نهوي إلى العدم
قوتنا سر تميّزنا
إذ قهرا تتبعنا الغنم
--- الهام عندي الأفكار
القوة كفكرة هي الأجدى
كي ننحت في وعى الغنم
أن العظمة للأقوى
أما من يضعف فليصبر
وليقبل وضعه بالأحرى
دون أن يبتذل الفكرة
فالفكرة نور يتبدى

-- كبش ثالث ثاغ برعدة :

تدعوني أن أرضى بضعفي
أو تدري إلاما تدعوني؟!
تدعوني أقبل بمصير
يطحنني عظاما في ظنوني
فالسقطة ما بعد الرفعة
أقسى نارا قد تكويني

فرعاع الأكباش هنالك
لن تدري ماذا يضنيني
--- هي ما سقطت
لذاك لأوضاعها قبلت
لن تدرك ألما لو ألمت
لن تشكو ذلّا لو ذُلّت
ونراها تعمل في الباحة
ما اعترضت يوما
ما شكيت
بل يمكنها حتى البسمة
اعتادت وضعها
بل رضيت
--- لكني ذقت السلطان
فكيف أرضى بهوان؟
بل جسدي جميعا يرتعد
لمجرد ذكره بلساني
فالتخصيص وفق القوة
سعي مطلق في الأزمان
سعي لا يتبعه راحة
أو حتى شعور بأمان
فحياتنا ما بين ثلاثة
جميعها تنذر بالحرمان
--- فإما سكونا على خوف
من كبش أقرن غضبان
يتحرّق شوقا للقوة
ينزعنا عنها في ثوان
--- وإما نجترح تحديا
لن نظفر منه بأمان
فالنصر مجرد تأخير
فالنصر ليس بضمان

فعصر النصر سيولّي
ويأتي زمان الخذلان
--- وإما ضعفا أو شيبة
يفري بصحيح الأبدان
إذ ذلك تُبعد عن عرشك
وتسكن أرض النسيان
--- والأنكى أننا قد خُضنا
عميقا في أرض القوة
وصار محالا في نظرنا
أن نرجع عنها و لو خطوة
بل أن جسدي يرتعد
رعبا من حمق الفكرة

-- كبش رابع ثاغ فحيحا :

تلك الباحة ملعونة
لم نلمح يوما في إطارها
شاة عن حق مسرورة
أو حتى كبش يتباهى
من دون أن يخشى هزيمة
--- فهناك كباش طاعنة
في السن سمعتها تتحاكى
عن سرّ سمعته قديما
من فم أكباش تتشاكى
من أمر فعله أجدادنا
ظنا أنها تتذاكى
أورثها لعنة أبدية
أوعدت الغنم إرباكا
إذ كلما درجوا في نجاح
تطعنهم طعنا فتاكا
وتحيل لفشل نجاحهم
فشل يحدقهم إحداقا

وتلك اللعنة ورثناها
كقيد يُحسن إمساكا
--- يحكون عن عصر ذهبى
سموه عصر الترحال
كانوا جميعا قيد الساحة
كانت تُجهدهم تجوال
لكنها كانت تأويهم
تغنيهم عن مُرّ سؤال
--- فالعشب و إن قل وفير
بيد أنه متناثر
جزر تتباعد في الساحة
يذرعها عشب متكاثر
كانت الأغنام في بحبوحة
مرعاها بالعشب زاخر
--- يحكون أن الأغنام
كانت تنقاد للشاة
ما كان موضع للقوة
لم يظهر بينهم بغاة
بل حتى أقوى الأكباش
كانت تتبعها بثبات
يحكون عنها و حكمتها
حكايات تلو الحكايات
بيد أن الآتي غُفل
يُحجب حتى عن الحكيمات
--- فالشاة بحكمة قد خبرت
سرا للعشب يخفيه
وعلمت كيف تُنميه
وكيف بحرص تحفظه
من شر فساد تحميه
بل حتى عشب سعادتنا

علمت كلّ مخافيه
--- وظنّت أن بفعلتها
ستُنحّي جهد جماعتها
ليقرّ قطيعها بمحله
لم تدرك أن بفعلتها
أتت إمرا
إذ نزعت حكما من أهله
--- فالساحة صعدت غضبتها
إذ فقدت توا سلطتها
لذلك صبت لعنتها
فوق الشاة
ومن خلفها فوق الغنم
فالشاة ستحيا مقهورة
يلقحها كبشها مجبورة
وستهلك عملا في الحقل
وتظلّ دوما محقورة
أما الأكباش فلن تهنأ
يوما بسعادة
وستفشل دوما أفكارها
من دون هوادة
فكل مخطط تأتيه
طمعا في ريادة
سيفضي حتما للغم
من دون زيادة
من يبصر ماضي مسيرتنا
سيوقن أن لعنتنا
حق يقين
ماضينا هرب متتالِ
من واقع مرّ و حزين
أخطأنا و حقت لعنتنا

إذ أبدلنا بإرادتنا
غثا بسمين

-- كبش خامس ثاغ بغضب :

الساحة أمامك ياهذا
فلترحل لو حق الرغب
فالساحة ليست سوى ساحة
لا تُسم بلعن أو غضب
أو رحمة أو حتى سماحة
أو حتى عطف مع حب
الساحة ليست سوى صخر
وفضاء متسع رحب
وعين مياه مخبوءة
وبعض جزر من عشب
من ظن للجمد إرادة
لن ينجو يوما من كرب
--- كما أن لومنا للقوة
كخيار سببه غفلتنا
فنحن لسنا أحرارا
كي نحسن صوغ فكرتنا
أوضاعنا معقدة يا سادة
وذلك أصل حيرتنا
وسندرك عمق مأزقنا
حين تنفتح بصيرتنا
فسنبصر حرج خياراتنا
فى ظل قيد علاقتنا
فخيارنا لا يخلق واقعا
خيارنا تحكمه شروطنا
إذ نختار نبغي أمورا
والواقع يَحكم خطتنا
--- أجدادنا إذ وصلوا الساحة

منحتهم عشبا و أمانا
ومع الوقت ازدادوا عددا
وتوحّدهم صار لزاما
في وجه الساحة و فسحتها
وتناثر عشبهم تماما
بيئتهم حكمت خططتهم
لذا أنتج سعيهم وئاما
--- الكبش أبدا لم يتنازل
للشاة عن سلطته
أو أن تنامي حكمتها
أسرته فخارت إرادته
فهو لم يدرك أصلا
مكامن سلطة قوته
--- ولا حتى الشاة المسكينة
بحكمتها فقدت سلطتها
إذ أهدت أسرتها قرارا
فحق عليهم إزاحتها
--- ولا نحن إذ قرّ قرارنا
اخترنا القوة كنظام
لنسود قطيعنا بالعنف
ونُلزمه الطاعة بسلام
كذلك ليس عن رغبة
قسمنا الباحة لأقسام
إذ ذلك في حكم الوعي
ليس سوى كومة أوهام
--- الأمر مجرد علاقات
تفضي دوما لخيارات
يتبعها تغيّر للواقع
يؤطر كلّ الحسابات
--- التجوال فرض وئاما

فتواءمنا
--- ضمان الرزق طلب قرارا
فاستقررنا
--- الاستقرار فرض صراعا
فتصارعنا
--- تصارعنا فرض القسمة
فتقاسمنا
--- سلطتنا جلبت حسادا
فتحاسدنا
--- الأمر يقين ياسادة
الواقع قيد الخيارات
لكن خياراتنا تشرفنا
برغم عمق المأساة
فبدونها نجمد كالصخر
أو نزوي كالعشب المُحل
ونضل طريقنا كالماء
ينطلق إلى الأرض القحل
لا عشب هنالك يطلبه
أو يُضفي ريّا على حقل
--- نحن إذ نختار نكون
وجودنا بخيارنا مرهون
مهما عظم قيد الواقع
لن نجبن يوما و نهون
--- نحن نختار لأنفسنا
في ظل رؤانا و أفكارنا
نختار و كلّنا إيمان
أن خيارنا سيحررنا
والواقع أمر مفروض
لن يخضع يوما لخيارنا
لكنه سور يحدقنا

فبه ترتبط مصائرنا
إن وافق خيارنا يسعدنا
أما إن عَنِد يدمرنا
إلا إنه رغم العند
لن يثنينا أو يقهرنا
سنجدد فورا خياراتنا
لن نقبل قيده يحصرنا
--- خيارنا درب مقطوع
درب ليس فيه رجوع
درب ذو وجهة واحدة
كمسير الماء المطبوع
--- لكن الماء في مسيره
دوما معلوم الحدين
بخلاف درب خياراتنا
لا نعلم وجهته لأين
يأتي من ماض نعلمه
لآت مجهول العين
--- الواقع قيد خياراتنا
لكنه لا يصنعها
قد يسبقها أو يتبعها
قد يتفاعل أيضا معها
قد يحبطها أو يرفعها
أو يسندها أو يوقعها
لكن أبدا لن يصنعها
--- فالواقع رغم سطوته
هو دوما ابن خياراتنا
رغم أنها لا تسلم منه
وكأنه قيد لحياتنا
لكنه لا يجلب نفسه
للعالم رغم إرادتنا

--- هبوا أن الأجداد هنالك
بحياة الترحال رضوها
أكانوا قرّوا في الباحة
حتى نمّوها و عمروها
فحياة الترحال خيار
فقدوها حين رفضوها
وكذاك حياة الاستقرار
لرغبتهم فيها قبلوها
--- برغم تعقد علاقاتنا
سنظل نحيا كأحرار
وبرغم قسوة الواقع
سنحظى دوما بخيار
وبرغم الغيب و حلكته
سنظل مُلاك قرار
فلنجدد فورا خياراتنا
فلعلنا نظفر بمسار
يمنحنا الراحة و البهجة
في دروبه نسعى كأخيار
-- كبش خامس ثاغ بثقة :
عندي فكرة
قد ترحمنا من صراعاتنا
ومن بيننا تنزاح القسوة
في نظري سر مصيبتنا
مرجعه صراعات القوة
وصراع القوة مرجعه
عشواء تحكمه فتوة
فلنبنِ نظاما يا سادة
فالقوة يردعها القوة
--- يُرعبنا تحدي يا سادة
من كبش بنيته ممشوقة

أو ضعف طارئ يقهرنا
أو حتى طعن الشيخوخة
أملاكنا سريعا نفقدها
من القمة نهوي للسوقة
والحلّ أن نبني نظاما
بيده القوة مملوكة
--- فلنختر أقوى الأكباش
ونكون هيئة معلومة
هيئة قوتها في وحدتها
سمعتها دوما مرهوبة
إن جار كبش على آخر
تتدخل و تزيح خصومة
لتردّ كيدا للباغي
وتُبقي الأملاك مصونة
--- وكذلك نبحث عن مسرب
يمتص صراع الملكية
إن ظلت رهنا بالقوة
ستظل على الضبط أبية
حتى هيئتنا بقوتها
لن توقف حربا أبدية
--- فالخالي يُغضبه المالك
ويُفكر دوما في طريقة
يُشاركه عبرها أملاكه
فحياة الملكية الفخمة
مسار تحاسد و تحاقد
فالكلّ تُحركه أشواقه
وبذا مجتمعنا يتشتت
يغزوه الرعب و يتفتت
لا أحد تُرضيه حياته
طبقاته لبعضها تترصد

وكلّ منها يتكبد
عناء يحرمه نجاته
--- في القمة يُرعبنا الفقد
إذ تفحصنا عين الرصد
تتحين فرصتها لتقفز
تُفقدنا موضعنا الرغد
--- في الساقة يأكلهم حسد
يتغذى من نار الحقد
صوب حياة ملؤها راحة
في حين حياتهم جهد
--- ذا وضع يشرخ وحدتنا
ويحيل لحتف جماعتنا
والحلّ عندي نُغيّره
طوعا و بكلّ إرادتنا
--- كلّ منا بضيعته
سيقلص مطلق قبضته
ليخفف عبئا على غنم
يوئسها صرامة سلطته
--- أوقات العمل يُقلصها
كي يمنحها بعض الراحة
حصتها من العشب يُزيدها
يمنحها عشبا بسماحة
كما أن عشبة متعتنا
يجعلها لإياها متاحة
والشاة تلقح بالرغب
لنجنب لقحتها وقاحة
إن وَضَعت تُعفى من عمل
كي تُرضع طفلها مرتاحة
--- وبذاك رعيتنا تهدأ
والغضب المكبوت يُفثأ

وتكون لإيانا عونا
إن بغى كبش و تجرأ
كما أن هيئتنا تضمن
عونها في الطارئ يطرأ
--- كما أني أقترح وسيلة
غير القوة
تضمن نقلا للملكية
دون فتوة
وبذاك نحقق أهدافنا
خطوة فخطوة
--- فالكبش الحائز ضيعته
في ظلّ وسيلة يُدركها
سيسعى جهده ليحميها
يُنميها كي لا يفقدها
والكبش الراغب في ضيعة
حلم حياته أن يملكها
سيسلك مسلكا مشروعا
عبر وسيلة سنحددها
--- فالأول يُغادره خوفه
ما دام قد أمن تحد
حتى ضعفه لن يزعجه
إذ ليس مجال لتعد
رعاياه صاروا له عونا
هيئتنا صارت له حصنا
ضيعته ستبقى محفوظة
ما دام يسيّرها حسنا
لن يفقدها إلا بحمق
غفلته ستُرديه أرضا
فجزاء حماقته خُسْر
ذا أمر لن يزعج أحدا

--- والثانى يُغادره حقده
فهناك سبيل مشروع
يتْبعه ليحقق أمله
إن نجح فسعدا و هناء
وإن فشل فليلم نفسه
--- أما عن الحلّ المقترح
فليكن السعى بمقابل
وكذاك الضيعة بمقابل
فكلّ كبش بضيعته
بين رعاياه سيفاضل
ليميّز جَدّا من هزل
ويميّز ناشطا من خامل
والتمييز لا يتعارض مع حقهم
بل كلّ حقه متكامل
--- فالسيد يمنح رعاياه ما يكفيهم
من ثم يمايز بينهم كي يرضيهم
ويضمن سعي أياديهم
--- وليكن نظير التمييز
شيئا الكلّ يقدره
كعشبة متعتنا مثلا
من يملك منها فبشّره
على أن يُحكم ذاك الأمر
من قِبل الهيئة تقرّره
لا أن يترك للأهواء
فتُضيّعه و تُبعثره
--- فالهيئة ستقرّر جعلا
السيد يمنحه جبرا
للناشط و المحسن عملا
حتى إن بَخسه و خادعه
يرجع للهيئة بشكواه

لتكون بينهما حكما
ذا يخلق للعمل حفزا
ينعكس على الباحة خيرا
--- كما أني أدعو للأمل
نزرعه في أرجاء الباحة
إذ نّعلن خبرا على الملأ
بكلّ وضوح و صراحة
من يترك ضيعته فتفسد
ننزعها و نفقده الراحة
فالضيعة خير نبصرها
من يُحسن فيها يُكثّرها
فعلام نقبل تدميرها
من مُفسد تنقصه رجاحة
--- ولنقل الملكية نظام
تحكمه الهيئة بتدبير
فلكلّ ضيعة مقابلها
تحدّده بحسن التقدير
من عشب المتعة تقرّره
كجعل عادل و وفير
من يملكه سيقايضها
ويملكها دون تخسير
وبذلك نحكم خطتنا
كما نضمن حسن تدبير
--- فلن يدخر السادة جهدا
ليظلّوا سادة أملاكهم
ورعاع الضيعة سيجتهدون
يملؤهم أمل يدفعهم
والباحة ستزداد ثراء
وبُغاة الشر سنردعهم

-- ثاغ الجمع :

نعم الرأي
كلنا يقبله و يُريده
لنشكّل فورا هيئتنا
كي نُقبل على دنيا رغيدة

-- غير أن كبش اللعنة ثاغ بعند :

وهمّ مطلق
أترون مكيدتكم تنجح؟!
فالساحة سترّد مكيدة
بطريقتها
وستجعل دنيانا بليدة

-- صاحب الخطة رد عليه :

نحن لا نضمن مستقبلا
ولا نملك شرطا على واقع
بيد أننا نبني حياتنا
وخيارنا مرآة الواقع
لا نملك إلاه دليلا
يهدينا كالنجم الساطع
ساحتك جمد يا هذا
لا تملك حكما على واقع
حتى إن فشلت خطتنا
فالأمر مرجعه الواقع
وتشابك علاقات تُنتَج
لا نسبر غورها في الواقع
إلا عبر خياراتنا
لنمهد سبلها في الواقع
إذ ذاك سنقبل مصيبتنا
ونسعى لنجدد خطتنا
كي نشفي الواقع بالواقع

٢

تركوا كبش اللعنة وحيدا

وشرعوا جميعا في التو
ليشكلوا هيئة حكمتهم
من دون تباطؤ و تَرو
لم يبصر إياهم سحبا
أخذت تتجمع في الجو
كي تمطر همّا في الآتي
مرجعه فعل ملتو
-- الأغنام و قد قرّت
ونسيَّت التجوال و هجرته
تشبه قاطنا كان بمنزل
جدرانه الطين و تربته
سقفه أخشاب مشرعة
دواب و قوارض جيرته
لكنه كان سعيدا
ودروب الهمّ هجرته
فبساطة عيشته كانت
تُرضيه و تُسعد سريرته
--- غير أنه لم يدرك ذلك
فنفسه حجبت بصيرته
بل ساقت وعيَّه ضده
ليُلح عليه بسلطان
منزلك بؤس ياهذا
أبدله تحيا في أمان
فأزال المنزل بتمامه
وفورا شرع في بنيان
من أحجار صلبة بيض
كما لوّن كلّ الجدران
--- لكن سعده فارقه
فذهب لوعيّه يعاتبه
فأشار عليه في ثوان

أن يَحط البيت ببستان
فلعلّ الزهر يُبهجه
ويمحو كلّ الأحزان
--- لكنه ظلّ حيرانا
فأشار وعيّه بلا توان
فلتمحوه و تنشئ غيره
آخر أعلى في البنيان
فأجاب وعيّه من فوره
دون أن يظفر بأمان
فبؤسه ظلّ يتنامى
وحزنه ينمو بطغيان
والوعيّ يدفعه أماما
ليُحطم سابق بنيان
ويُقيم آخر في محله
فلا يحصد غير الخذلان
--- حتى علق في الدورة
كهارب يخشى نيرانا
نيران تتبعه حثيثا
فيهرب منها حرّانا
إن ثبت محله ستحرقه
ويعود منها خسرانا
--- أو جائعا يسبقه طعامه
فيسعى خلفه طمعانا
لكنه لا يدركه
ويظلّ العمر جوعانا

٣

بينما أكباش الباحة
تُوشك أن تحسم فكرتها
وتُرسّخ بينها خطتها
في موضع آخر من الباحة

كانت تجري أحداث
ستُحيل إلى البؤس حياتها
إذ ولدت شاة مثقلة
لعنة ستعم الباحة
وتُذيق الكل مرارتها
--- الشاة قد ولدت مسخا
دمامة وجهه تُكلّله
في كل قطيع الأغنام
ليس هنالك من يعدله
أمه جزعت من منظره
نفسها عافت أن تقبله
ولولا غريزة غلبتها
لذهبت فورا تقتله
--- هذا المسخ كان عجيبا
لم يقرب أمه لرضاعة
مع ذلك يتنامى سريعا
ينمو نمو العام في ساعة
لم تنقضِ ليلته حتى
اكتمل نموا و براعة
من باكر غادر صخرته
ليغزو الباحة بوداعة
فالمسخ يمتلك خصيصة
مكر و دهاء و قناعة
لا يقرب زادا أو عملا
بل عمله و زاده في الطاعة
عضلاته تنفتل و يسمن
كلما تتزايد أتباعه
كما أنه إن قرّر يهجم
ليس من الممكن إرجاعه
لا شيء يعوقه عن هدفه

أو حجب تمنعه خداعه

٤

إذ ذلك أغنام الباحة
كانت تتبادل أخبارا
تأتيها من كلّ مكان
فتثير لديها أفكارا
فحياة شقاء قد و لت
والسادة صاروا أخيارا
وهنالك باب قد شُرع
ليصيروا كالسادة كبارا
وهناك هيئة ستحميهم
من مكر كباش أشرار
واللقح صار على الرغبة
إذ ليس هنالك إجبار
وبذلك تعظم فرصتهم
فالرغبة يتبعها خيار
والشاة تملك مفتاحه
هي من يرضى و يختار
-- وبسرعة حسما للأمر
توجه وفد للهيئة
تريد من السادة ضمانا
بالحق الكامل في اللقحة
--- الهيئة بهتت و احتارت
فالأمر جديد بالمرة
ما اتفقوا عليه و قصدوه
للسادة أن تحسن رفقة
لا تؤذي الشاة و تغصبها
ويكون الأمر على الرغبة
لا أن يشاركهم رعاياهم
في أمر حسبوه حظوة

--- لكن المنطق أفحمهم
ما دام الأمر على الرغبة
فالرغبة تُنتجها إرادة
تتعلق برضاء الشاة
والشاة رضاها على السعة
قد تقبل كبشا منحطا
ترجوه شريكا لحياة
وترفض غيره و إن عظم
وتراه قرينا لممات
فالشاة صارت آمرة
تُقصد لتلبى الرغبات
وخيارها يلزمنا جميعا
إن رمنا تماسكا للذات
وإلا نسقط في تناقض
ونهوي لأدنى الدركات

-- الهيئة ردّت بتروٍ :

لكن الشاة و ضيعتها
ملك للسيد يُخضعه
مطلبكم يسلبه حقا
ويضيع عليه تسيّده

-- ثاغ خروف :

لسنا بحمقى
خبرتنا معكم في الباحة
جعلتنا بفكرتكم أدرى
إذ ليس هنالك من سيد
لترك سيادته يهوى
بل يسعى ليدعمها حثيثا
يحميها من فجئ البلوى
--- خطتكم بالأمس البائد
وضعت كي تحمي مصالحكم

ما صغتوه في شكل تنازل
أمر سيحقق صالحكم
وإن كنّا لا ندرك كنهه
فإننا ندري مطامعكم
--- خطتكم صيغت بمهارة
كي تمنحكم ما تبغونه
هدف نجهله و يجعلكم
تَحيون نظاما ترضونه
فهنالك أمر يُرعبكم
وصغتم خطتكم دونه
لكن خطتكم في رؤانا
فرصة للراحة مأمونة
لذا أعملنا فيها العقل
فبصرنا بحكم مدفونة
لم تدروا شيئا عنها
وسقطت منكم برعونة
وجئنا هنا كي نلفتكم
لدروب المنطق و شجونه
وإما نقطعها جميعا
دون درب تستثنونه
أو نرفض خطتكم طرّا
نحرمكم صفقة مضمونة
صفقتكم إن حُرمت منطقا
ستغدو صفقة مجنونة
ستقيدنا بحبائلها
ونغدو للقهر رهينة

-- كبش من الهيئة ثاغ :

هل يقبل منطقكم عقلا
أن يُحرم سيد من حقه
من دون مقابل يقبضه؟

فالخسر يخففه عوضه
لذا إن رغب كبش منكم
في شاة كانت ترغبه
فلنقبل جمعا بينهما
مقابل جعل نجعله
كمّ من عشبة متعتنا
كباش الهيئة تقرّره
يؤخذ من الراغب للسيد
عوضا عما سلب منه

-- خروف ثاغ :

هذا تناقض
فالشاة ليست للسيد
ملكا كالعشب و كالضيعة
هي أصلا كانت سيدة
وفقدت عرشها بالقوة
بل إنّا جميعا أسياد
قهرتنا القوة و العنوة
وحيث أن خطتكم
تزعم تركيزا للقوة
في يد الهيئة و سلطتها
لتدير حياتنا بالرغبة
لذا صار لزاما تغيير
علاقتنا بسادات القوة
--- ما عاد ينفع في نظامكم
أن تبقى أعمالنا قهرا
وإلا خطتكم تفشل
وتصير هباء أو وهما
فالسيد سلطته انحدرت
إزاء سلطتكم دهرا
بل إن بقاءه بضيعته

يحكمه نظام اشتهر
--- في خطتكم طالبتوه
في رغبة تشبه إلزاما
أن يأتي رعاياه خيرا
ويضمن لهم إطعاما
ويمنح من ينشط منهم
من خير العشبة أكواما
بل هددتم فاشلهم
إن صارت ضيعته حطاما
تسحب منه و تعطى لغيره
شرط أن يعدلها قواما
لم تدروا أن فعلتكم
ستنتج في الباحة نظاما
--- فالسيد آل مديرا
يدير الضيعة بالحسنى
وصرنا نحن أحرارا
نأخذ أجرتنا بالحسنى
والناشط منا يترقى
يدخر العشبة بالحسنى
يكمن بهدوء و ينتظر
فرصة تأتيه بالحسنى
ضيعة سيدها يحطمها
فتؤول إليه بالحسنى
والشاة عادت سيدة
تملك إرادتها بالحسنى
إن رغبت كبشا و رغبها
السيد يقبل بالحسنى
وإلا نلجأ للهيئة
كي تفصل بيننا بالحسنى
--- ذاك نظام أبصرناه

لم يرد بخاطر جماعتكم
لكنه خير طريق
إذ عبره تنجح خطتكم
وإلا فقدتم تعاوننا
للعدم تؤول رغبتكم

-- كبش من الهيئة ثاغ :

نعم الأفكار فكرتكم
ستعلن فورا في الباحة
والفضل يعود لفطنتكم

-- رحلت الأغنام و فرحتهم
توشك تفقدهم ألبابا
هل حقا صاروا أحرارا
للسادة صاروا أترابا؟

-- أما أكباش الهيئة
فانهالوا على الكبش عتابا
كيف تقرّر رأيا وحدك
وكأننا صرنا أغرابا ؟

-- ثاغ بهدوء يجاوبهم :

لم أغلق لنقاش بابا
لكني أبصرت بفرصة
وخشيت إياها ذهابا
تلك الأغنام بفطنتها
أهدتنا نعيما غلابا
إذ صرنا سادة للباحة
لن نُحرم فيها أسبابا
فكباش الضيّع و رعاياهم
صرنا لمقاصدهم أبوابا

-- ثاغ الجمع :

أمر جيد
نحن جميعا صرنا السيد

-- كبش منهم ثاغ شريدا :

يا للهمّ
خطتنا سريعا تتعقد
ما مر عليها سوى يوم
الآتي يُرعبني يقينا
ويحرمني حُرّ النوم
ه
أحوال الباحة تتبدل
وأمور فيها تتشكل
فاللقح إذ صار على الرغبة
ظهر الحب
عاطفة سامية تعلو
تُنر الدرب
والكبش المسحوق عناء
همّه قلب
يتصايح في الصدر ثغاء
شدّة رغب
والشاة المنحطة رُفعت
فهي الطلب
الكلّ يقصدها بلطف
دون الغصب
إن رضيّت كبشا و رضاها
هان الصعب
القمر اقتسموه هناء
والنسمة اصطحبوها صفاء
والضيعة صارت باسمة
عشبتها صارت أضواء
عناؤهما ما عاد عناء
جهدهما ما عاد شقاء
قربهما يُشفي جراحهما

على الفور يصيرا أصحاء
--- ومع الحب ظهرت فكرة
في الضيعة قد ولدت أسرة
فالكبش ستلزمه الشاة
ما دام الأمر على الرغبة
سيبيتا سويا في الصخر
والعمل سويا في الحقل
وسينسب لهما عن حق
ما ينتج عنهما من نسل
سيقوما سويا برعايته
وكلاهما يرضى بالبذل
--- ومع الأسرة ولد الحرص
فالأسرة مختزن الجهد
هي دوما أولى بعطاء
من الباحة جمعها و الفرد
فلأجلها نسعى و نجتهد
ولأجلها موفور الود
--- ومع الحرص برز الآخر
فالآخر خصم أو ضد
إن خالف صار بغيضا
يستحق عداء بلا حد
إن وافق صار حبيبا
عشرته سبب للسعد
--- ومع الآخر ولد صراعا
ليس للباحة به عهد
فصراع الأكباش قديما
محوره قوة و تحدّ
كان صريحا مثل الشمس
إذ تمحو الظلمة عن قصد
لا تخاتلها أو تخدعها

بل تأتي فعلها عن عمد
--- أما ما طرأ من صرعة
فأمر آخر
به كل الأشياء مباحة
وهدفه قهر الآخر
لذا فتح بابا لسجايا
لا يفضل إحداها الآخر
كلها صارت مقبولة
ما دامت تفتك بالآخر
--- كل ما يجلب مصلحة
صار مباحا
كذب و خداع و ختالة
سرقة أو غش و ندالة
والفُحش غليظا و صراحا
ما كان يُكبت في السابق
صار صياحا
--- وبذاك الباحة و كيانها
صارت تربة ذات خصوبة
للمسخ يُلقحها لقاحا
لينبت غرس سوأته
يُنميه بحسن فتنته
يجعله كثيفا وضاحا

المسخ يفسد أول خطة

١

المسخ دهاء بلا حد
هو لا يخطئ أبدا قصدا
ويسعى كي يجني نجاحا
في داخل نفسه هو يدرك
نقطة ضعفه و مهلكه
بل عيب لا يرجو صلاحا
فبقاؤه معلق بنجاحه
فالمسخ ينمو بأتباعه
لذلك لا يألو كفاحا
حتى يسقطهم في شراكه
ويشرذم وحدة تجمعهم
لا يرجو للباحة فلاحا
ـــ المسخ لحوح و صبور
لديه المنطق و الوقت
ولديه سطوة على الغنم
تلزمهم كلّهم الصمت
فبرغم دمامة خلقته
يبرع في تبرير السحت
بلغة تندر نظائرها
ولباقة و ضبط في السمت
تجعل مستمعه مبهورا
يفقد قدرته على البت
إذ يسلم للمسخ مقوده
وصلته بأمره تنبت
ـــ المسخ منطقه بسيط
لذلك صوته مسموع
مصلحة الفرد و إن حقرت
تَقدم مصلحة المجموع

هي فكرة سيلح عليها
ويعرضها كحق مشروع
وحتى يثق بنجاحه
ويتبعه الفرد بخضوع
سيخبره بُغية إقناعه
أنه من الآخر مخدوع
-- فالآخر شرّ يخدعك
إذ يسعى حتى يُقنعك
بأن مصلحتك حَقر
وبذاك تماما يُخضعك
وبذلك ينطلق قويا
وتذوي أنت بموضعك
-- والمسخ ليس عجولا
سيظل يصول و يجول
إذ هدفه سكان الباحة
من سادة لعمال حقول
فالكلّ هدف لسمومه
والكلّ بسعيه مشمول
حتى الهيئة بفخامتها
لن ينجو منه مسؤول
تدفعه ثقته بقدرات
ستحيل الصعب إلى ذلول

٢

سكان الباحة جمعاء
هالهم المسخ و هابوه
بل جزعوا كذلك من شكله
وابتعدوا عنه و تركوه
لكن ما إن حدثهم
وكأن سحرا أحدقهم
فاقتربوا منه و حبّوه

-- المسخ بفطنته أدرك
أن الباحة ثلاث شرائح
مصلحة الباحة في وحدتهم
هيئة آل إليها الأمر
وسادة يكمنون في ضياع
وعمال يشقون بضيعتهم
والكلّ يسعى ليُقدّم
مصلحة الباحة و يُعليها
وبذلك تنجح خطتهم
-- كما أنه أدرك أن
هنالك مصلحة أخرى
لكلّ شريحة
هو يدرك أنه لا تعارض
بين مصلحة المجموع
ومصلحة فردية صريحة
فهناك توازن حساس
إن حُفظ
ستظلّ أمورهم مريحة
إذ ذاك سيذوي و يتضاءل
إن لم يُهد لفكرة صحيحة
تُبدل هذا التدبير
بحال مرة و قبيحة
وبعد هنيهة تفكير
خلالها قد شحذ قريحة
حتى انفجرت فكرة سوء
ستردي الأغنام طريحة
--- سيعكس هذا التدبير
سيُعلي مصلحة الفرد
سيسعى سعيا بلا حد
ليقلب حال الأغنام

من حال إلى حال ضد
سيصوّر لكلّ شريحة
مصلحتها كضوء ممتد
أما مصلحة المجموع
فخداع في عين الرصد
--- فباقي شرائح الباحة
تسعى لظفر
وتراكم في ثوب منافس
كلّه شر
فتضع مصلحة الباحة
مثل الحجر
في درب مصالحكم حتى
تحرمكم من سير
وبذلك ترقى و تترككم
بين الحفر
-- لن يهدأ حتى يُشرذمهم
فتشرذمهم سرّ بقائه
وتوحدهم سرّ شقائه
فليشحذ صافي قريحته
ليُحقق غرضه و رجاءه
لن يترك فردا أو جمعا
الكلّ سيتذوق داءه
--- لغته ستتنوع ليكيد
حسب الموقف و طبيعته
بل حسب الفرد و شريحته
فلكلّ منهم أسلوب
سيُجيده ليُحسن خطته
سوف يُحسن نصب شباكه
ستردي الكلّ حنكته

٣

المسخ أسلحته اكتملت
منذ ميلاده
لذا هبط الباحة يسعى
ليرضي فؤاده
سيطوف على كلّ الباحة
فالغنم هدفه و مراده
--- دخل ضيعة
وجد كبشا يرعى وحيدا
أقرانه على البعد هنالك
ليس بعيدا
-- اقترب منه و حيّاه :
دمت سعيدا
علّك في الضيعة مرتاح؟
-- فأجابه :
هذا أكيد
فالعمل قلّ و العيش
صار رغيدا
-- فتساءل :
ما بال شاة تملكها؟
-- فأجاب الكبش منفعلا :
لا شاة تُملك في الضيعة
بل تسعى حرة برغبتها
وشاتي قبلتني رِضاء
ليس بوسعي أن أقهرها
ذي خطة تتبعها الباحة
لا يملك أحد تغييرها
فالهيئة هنالك تحميها
والباحة أجمع تسايرها
-- رد بخبث :

مسكين
بل كلّ الباحة مساكين
بل حمقى
ليس منكم كبش رزين
أتظنون أن السادة
فقدوا شيئا من قوتهم
السادة يخشون تحدّ
ربما يُفقدهم سلطتهم
وليئدوا الفتنة في المهد
اجتمعوا و أحسنوا خطتهم
يرمون إليكم بفتات
حتى يحموا ملكيتهم
من يسعى في الحقل سواكم؟
من يشقى دوما إلّاكم؟
أتظنون الهيئة قامت
حتى تضمنكم مرعاكم؟
ما أغباكم!
ـ القوة قانون يا هذا
القوة لا تُفضي لضعف
القوة معيار الشرف
القوة فخر و بدونها
يهن الحتف
ـ السادة بخبرتهم فهموا
للقوة توازنا يحفظها
كانت قوتهم مكشوفة
تغيظ الأغنام و تغضبها
وتثير الغيرة بأنفسها
وتدفع حاقدا يغصبها
لذاك اتفقوا يحمونها
عن عين حسود تُبصرها

وسمّوا خدعتهم خطة
ودعوا الأغنام لتتبعها
وبذلك حققوا أهدافا
إذ خلف قوتهم كمنوا
وحُسن تعاونكم ضمنوا
وسوء سريرتكم أمنوا
وارتاحوا من رعب تحدّ
أو ضعف يُحتّمه الزمن
والثمن قليل في الواقع
لذا بالغفلة يُقترن
--- بعض فتات العشب التافه
وقليل من عشب المتعة
ووعد زائف براق
بضيعة من فقد الحكمة
وعد أخطأتم فحواه
وحسبتوه مطلق فرصة
للناشط منكم و الفائق
والبارع في خزن العشبة
والوعد بعيد عن ذلك
-- الوعد صيغ ببراعة
ليُنقّي مجتمع السادة و يُكثّفه
فالسادة فهموا بخبرتهم
بأن القوة مجتمع
إن شُتّت ما أضعفه!
لذلك ابتدعوا الوعد
ليُشكّلوا مجتمع القوة
فلعلّ الوحدة تُسعفه
--- فالخامل منهم يُضعفهم
لذا سيتم إبعاده
والنابه منكم صار منهم

لذا من الحق استرداده
لستم عندهم سوى شر
يخشون غضبه و عناده
لذا صاغوا خطة تُقيدكم
وكلّ أعجبه قياده
-- حتى اللقح
أحسبتم أنه عن رغبة
قد جعلوا اللقح على الرغبة؟
ذا أمر وهم في المطلق
لم يرد بخاطرهم لحظة
فهناك في عمق تفكيرهم
الشاة قرينة للرعدة
لم ينسوا يوما قادتهم
كرعاع مفقودي السلطة
لن يُرضي ثأرتهم إلا
رؤيتها سليبة و منحطة
--- لكن و ليحموا خطتهم
من نقض باد و سخيف
جعلوا اللقح على الرغبة
كخيار واع و حصيف
فبقاء اللقح على الجبر
في ظلّ الخطة تخريف
إذ أنى لعدل مزعوم
أن يجاوره ذاك الحيف
لكن لم يرد بخاطرهم
أن تحظى الشاة بتشريف
فالشاة برؤيتهم ظلّت
مجرد لقحة للسيد
لن يقربها غير السيد
من ثمّ تكدح في الضيعة

حتى ترد ببال السيد
لن ترقى برغبتها مكانة
بل دوما في رعاع السيد

ما حسّن وضعها إلاكم
بحسن الفكرة
حين أعملتم فطنتكم
بتلك الخطة
فظفرتم إذ ذاك بثغرة
مجرد ثغرة
منحكتم حقا في اللقحة
من ثمّ قبلتم و بحمقة
باقي الخطة
لم تدركوا باقي الثغرات
وحسبتم طاغ ربحكم
وربحكم
ليس سوى حفنة تفاهات
-- أتظننى أحمقا لأصدق
أن جماعتكم إذ ذهبت
للهيئة طلبا للقحة
كانت تبغي غير اللقحة
كأن تُرجع حقا للشاة
وتجعلها شريكا في الأسرة
من يزعم ذاك فهو كاذب
يجترح الأكاذيب جهرة
إذ عند الأكباش جميعا
الشاة دنيئة و منحطة
معركة القوة يا هذا
والسلطة تطمع في السلطة
--- لكن جماعتكم بمهارة
نسجت خطة

لضمان اللقح مع الحظوة
محورها اللقح على الرغبة
والخطة أفضت للأسرة
كضمان ليقين اللقحة
--- فالأمر لو بقى مشاعا
مآله سيكون صراعا
وتضيع الشاة مع اللقحة
موقفكم هذا استنقذها
ما عادت للسادة متاعا
بل صارت رغبتها تطاع
--- ومع رغبتها و تخصيصها
هدّد حق السادة ضياع
لكن كلّا منهم لان و رضخ
وكأنه راض منصاع
منطقكم أفحمهم حتى
كأنهم لفكرتكم أتباع
ما حسّن وضع الشاة
ما عادت تشترى و تباع
-- وبذاك جماعتكم رضيّت
ورضاكم يستدعى الحسرة
إذ أنى لشاة منحطة
أن تغدو شريكة في الأسرة؟
وأنى لعمل مع قهر
أن تشعروا معه بالغبطة؟
وأنى لوعد خداع
أن يفقدكم وعيّ الحيطة؟
أين وعيّكم يا هذا؟
الوعيّ ذكاء مع فطنة
الخطة ثقوب معظمها
من يدرك سرها يَحطمها

يستنقذ منها مصلحته
ولتذو جميعا في جحيمها
-- وسأمنحك خطة عمل
ستعيش نعيما في نعيمها
--- في اللقح إلقح من شئت
لن يُكلفك الأمر كثيرا
ليس سوى بعض التغرير
حلو كلام وفق تأنق
ووعود زائفة تبرق
فالشاة تُقنع بيسير
--- لا تربط نفسك بالأسرة
فشاة الأسرة في يمينك
أهلكها تعبا إن شئت
إن تشكُ فاعلُها بيمينك
إن ذهبت للهيئة تشكو
فلتسبق أنينها بأنينك
إن حالت عشرتها أتركها
وأبدلها أخرى من حينك
--- في العمل اعمل بتكاسل
لا تتعب نفسك بكثير
فالهيئة ضمنت رزقكم
بشروط و عليها تسير
إذ ضمنت حصة للكلّ
يأخذها دون تأخير
--- لا تنسَ أن خطتها
تنتزع الضيعة من الفاشل
لذا من مصلحتك إفشاله
فالعمل الجيد يُثريه
يحفظه و يُكثر أمواله
وتظلّ ضيعته بيده

والباقى الحرمان مآله
--- الآخر خصم و عدو
ومنافس يجب استئصاله
الأمر منطق يا هذا
ليس من الهيّن إبداله
فالضيعة أرض محدودة
كلما زاد فيها الآخر قل نصيبك
وشياه الضيعة معدودة
أى منها رغب الآخر زاد نحيبك
وأعشاب المتعة مفقودة
إن يسبقك إليها الآخر يا للهيبك
لذا فالواجب حرمانه
حتى مما يملكه يقينا
فاسلبه و بدد أملاكه
لا تبقي غثا و سمينا
بل راود شاته و إن قبلت
فالقحها فرحا و حزينا
إذ لقحك إياها يُرضي
ما تستره الذات دفينا
فهناك هناك بأعماقها
الآخر يُدميها أنينا
بسلبك إياه ملكه
سعدك محتجزا و رهينا
--- كما أن لقحك إياها
يُضفي على عينيك عيونا
بها ترصد كافة حركاته
بذا سلبه سيكون مهينا
إذ تأخذ شاته و أمواله
وتتركه للهم قرينا
وبذلك تثرى مع الراحة

والآخر ينحط يقينا
-- المسخ قد بث سمومه
والكبش حار في همومه
أيتبع المسخ و خطته
أم يرفض خطة مذمومة
وقبل أن يحسم أمره
المسخ فورا غادره
وتوجه إلى كبش آخر
ليكرّر خطة مشؤومة
ثم منه لكبش آخر
فالكلّ سيذوق سمومه
ليس مرة بل مرات
حتى تُدمى مهج الكلّ
بحراب المسخ المسنونة

٤

المسخ خطته شمول
كما راض الأكباش بحيله
سيسعى لإخضاع الشاة
بكلام عذب معسول

-- إن بصر بإحداها يشرع
في العمل سريعا و يقول :

علّ ريحانتنا بخير
علّكِ مسرورة في حياتك
أعرف عمل الضيعة رهق
يُتعبك و يُكثر أناتك
فالضيعة جميعا تخدعك
كي ترضي بُذلّك و آهاتك

-- فترد بعجب منزعجة :

قد صار اللقح على الرغبة
ما أبغي أكثر من ذلك

كنت ألقح جبرا مضطرة
كنت قيدا برغبة مالك
والولد أربيه بقهرة
ما عاد شيء من ذلك
إذ صرت حرة منطلقة
والكلّ يدعوني برغبة
من أقوى كبش في الضيعة
لأضعف كبش متهالك
--- صرت للكلّ ريحانة
بل بدرا ساطعا في سمائه
شفتاي عشبة متعته
عيناي بحر من مائه
صوفي من أعشاب الضيعة
وحضوري طاغ ببهائه
مطلوبة دوما من الكلّ
يتعلق كلّ برجائه
حتى أتخير أحدهم
فيقرن ذلك بهنائه
يجعلني ربة منزله
ويأتي عندي بنعمائه
--- يشاركني عملا مع سكن
يشعرني فرحا مع أمن
يمنحني صفاء بصفائه
إن أحمَل يتحمل عنّي
من قسوة عمل يرحمني
والولد نربيه سويا
لا يتركني و يهرب مني
--- أهنائي تسميه خداعا
حِيكَ بمهارة ليقهرني؟
إذ أي قهر في الراحة

تتدفق حولي و تقطنني؟

-- فيرد بحسم مع سخر :

الخدعة حِيكت بمهارة
كي ترضيها
إذ أنت لستِ سوى عرض
حلَّ فيها
الأمر أساسه على الصرعة
والصرعة محورها القوة
والقوة من ضعفكِ تأنف
كما أن القوة قد تأسف
إن فُرض عليها ما تكره
فإن ملكت فرصتها هجمت
لتصب بلاء لا أعنف
-- في عمق وعي الأكباش
لن تنسى عهد سلطتكِ
لن تنسى أن قوتها
خضعت إذ ذاك لقدرتكِ
فبرغم ضعفكِ فطنتكِ
أسرتها هناك فتبعتكِ
يدفعها ذاك لتنتقم
ولا تهتم لرغبتكِ
-- من صدّقت منكن لحظة
أن الأكباش تُقدّرها
غافلة تفرط في الغفلة
فهناك دوافع تدفعها
لجعلكِ دوما منحطة
فهناك قوتها و ضعفك
وهنالك ذكرى مرتبطة
بذُل عاشوه قديما
حين تصدرتِ السلطة

--- لذلك في الماضي اتفقوا
بأن الأنثى بلا رغبة
بل تحيا حياتها بالقهرة
تعمل في الحقل بلا رأف
وتُلقح رغم الأنف
وتربي طفلها بالعسف
كما خصوك بالسادة
فالباقي ليسوا سوى خسف
والقوة تأنف من ضعف
-- لكن جدّ جديد
جعل السادة تخشى عبيدا
فصراعات القوة الغفلة
صارت في نظرهم تهديدا
فالقوة الغفلة لزوال
ونظامهم صار بليدا
فهداهم وعيهم لخطة
تنسيهم وعدا و وعيدا
فحياة الباحة ستتغير
والكلّ سيصير سعيدا
--- إذ ذلك قفزت مشكلة
تتعلق بإناث الباحة
أتُراح الأكباش جميعا
وتبقى وحدها بلا راحة؟
إذ ذاك تفشل خطتهم
وتؤول إلى العدم صراحة
فقرّروا أن يعطوها شيئا
فجعلوا لقحها بسماحة
--- فانتبه رعاع الأكباش
بأن تلك فرصتهم
فجعلوا من الرغبة قانونا

حتى تتحقق حاجتهم
حاجتهم كانت اللقحة
لم يعد ذلك فكرتهم
--- لكن فطنتهم دلّتهم
لو ترك الأمر كمشاع
ستُفضى الرغبة لصراع
فجعلوا من الأمر نظاما
الكلّ إليه ينصاع
فالرغبة ستفضى للأسرة
وإلا الكلّ إلى ضياع

-- أترين؟
ألكن علاقة بالأمر؟
أنتن عرضا تأتين
أنتن بنظر الأكباش
شيء غث و مهين
موضعكن صوب القاع
كم مهمل و حزين

-- ما قلتيه لا أنكره
لكني أنكر تأويله
فالكبش لا يمدحك
عرفانا و الحب دليله
لكنه يطمع في اللقحة
ويخشى ضياعا لسبيله
فاللقحة حلما قد صارت
ورضاك أنت تفسيره
لكن ما أن يظفر بمراده
سيغادره حُسن مقيله
--- الأمر بدأ بالكاد
لذا لم تظهر أبعاده
وبعد قليل يتكشف

والكلّ سيجهر بمراده
والكبش ستظهر حقيقته
حيث يسوقكن بعناده
لذا عندي تحتطن الآن
وتفوتن عليه مراده
قبل أن يُحكم خطته
ويُقيدكن بمقوده

-- فترد :

أراكَ تدفعنا لحتف
يا هذا نحن أولي ضعف
وحياتنا تمضي على الخسف
ماضينا الجيد قد ولى
لن ينفعنا عليه الأسف
تجوالنا إذ ذاك حمانا
كان للقوة كالكف
صَرَفَ الأكباش عن الصرعة
والكلّ تعاون بلا عُنف
لكنّا استقررنا و صار
تمايزنا أوضح من الكشف
--- من بين أغنام الباحة
كنا نحن أضعف حلقة
إرادتنا سُلبت من يدنا
وصرنا جميعا وفق الرغبة
إن رغب سادتنا عملا
فلنعمل حتى نتبدد
إن رغب سادتنا لقحا
لن يُظفر منا بتردد
وتريدنا لو عرضوا الراحة
نرفضها و نأبى بتشدد
حجتك أن موضعنا

دوما منحط بنظرهم
وتسوق حججك بعناية
كي تكشف خافي فكرهم
وكأننا حمقى لا ندري
ما يعتمل في غورهم
--- الأمر يا هذا واضح
لا يحتاج جودة عرض
إذ نحن سبايا الأكباش
رهن ما شاءوا من غرض
أمر نعلمه و نقبله
لا نتوارى عنه بفرض
نحن نتقبل أوضاعنا
كمريض قار بالمرض

-- فجاوبها :

لا أدعوك لرفض الراحة
أو حتى أدعو لتمرّد
ففرق القوة أبصره
وأعلم ما ثمن تمرّد
لكنى ألفتك لذاتك
وأأبى قبولك بتعود
--- القوة دروب لو تدري
إحداها هو درب الصرعة
هو درب خاضته الأكباش
وأفضى لكارثة حقة
فهجروه و بحثوا عن آخر
والبحث هداهم للحكمة
عبرها أحكموا تدبيرهم
وخرجوا علينا بالخطة
وهناك دروب غيرهما
فهناك المكر و الخدعة

وهناك دهاء مع فطنة
من يُجد السير بإحداها
سينال الحظ مع الحظوة
فرعاع الباحة بالفطنة
نالوا حقّهم في اللقحة
--- إن رُمتُ دروبا أهديكِ
أختار المكر و الخدعة
إن أحسنتِ فيهما سيرا
ستراكمي سعدك بالوفرة
ولا تنسي سابق حظكِ
من فرط ذكاء مع حكمة
--- فقرار اللقحة بيديك
إن كبش يعرضها عليك
روغي لا تعطيه إجابة
حتى لو أعجبك مهابة
لا تعطي اللقحة مجانا
إن تطلبي ستكوني مجابة
--- ابتزي كبشك بمهارة
لتنالي غرضك بجسارة
ويعود فراغا بخسارة
--- كرّري خطتك مرات
تثري و تزدادي مهابة
حتى يقرّ قرارك
فاختاري قرينك بنجابة
--- اختاري الأقوى و الأثرى
فتظلّي دوما غلابة
--- ولتبقي حتى مع قرينك
الرغبة في اللقح سلاحك
لتظلّي مرغوبة اجتهدي
ولتَصِلي مساءك بصباحك

كي تتقني فن الغنج
في ذلك عزك و صلاحك
--- للمشي خطوة محسوبة
للوجه رسمة مطلوبة
أما عن الجسم و قسماته
فلكلٍّ نسبة مرغوبة
وبذلك يخضع و يجيئك
راضيا إرادته مسلوبة
--- عندها تشترطي للقح
تشترطين لكن بمهارة
لا تبدي الشرط كتعجيز
وإلا عدتي بخسارة
فليعمل عنك في الضيعة
أو يكثر من عشب المتعة
حتى لو اضطر لسلبه
لكن لا تقترحي الفكرة
فلتكتفي أنت بطلباتك
وليَشق لينال المتعة

لا تسفحي عبثا رغباتك
ليَشقى لتلبية حاجاتك
فشقاؤه أمان لحياتك

-- الكبش إن ارتاح يطغى
فالكبش قوة و القوة
لا تهدأ أبدا بل تسعى
بحثا عن منفذ يظهرها
كنار في هشيم ترعى
والشاة ضعيفة و الضعف
حفز يثير فعل الأقوى
ليطغى عليه و يقهره
ويفتخر عليه و يترقى

لذا فاحترسي أن تريحيه
فتعيشي حياتك بالشكوى
--- في اللقح ألفتك لأمر
فات عليكِ و على أقرانك
فاللقح عندكِ للمتعة
أو درب ينتَج أطفالك
وترين الأمر لدى الكبش
يحكمه مثالا كمثالك
فكرتكِ لا تعد خرافة
أو وهما يصنعه خيالك
--- فالأمر لدى الكبش سلطة
فحق اللقح برؤيته
أمر مقرون بالقوة
لذا قبْل الخطة و فكرتها
كان يأخذه بالعنوة
يحرم منه باقي الفتية
بل ظلّ ينافح عن حقه
حتى بعد صوغ الخطة
لولا فطنة باقي الفتية
وهو ما أفضى للأسرة
والأسرة قيد على اللقح
يحصره بشاة منفردة
هو أمر تأباه الأكباش
لكن قبلته مضطرة
لتنجو من شطط الصرعة
--- فالأمر كما قلت سلطة
والسلطة تُغذّيها الكثرة
والكبش المنثورة شياهه
سيغدو عظيما في الضيعة
فالأمر وقت لا أكثر

حتى يسعوا خلف الفكرة
--- لن يرضى أيهم بشاة
بل سيراود شاة أخرى
ثم أخرى
لا حدّ هنالك للكثرة
لن يهدأ ساعة عن سعيه
حتى يوقع شاة غُرة
ثم أخرى
--- بذلك تنتظم الدورة
والكبش سلطته تقوى
ويتحرّر من قيد الأسرة
ومن تسايره منكن
ستقبع في قاع الحفرة
فالكبش يطغى بفعلته
والشاة ذليلة و محتقرة
--- والحلّ عندي تحرّرن
من قيد الأسرة و العشرة
واسبقن الأكباش بخطوة
واعطين اللقحة من يبغي
من بين أكباش الضيعة
وبذلك تعفين اللقحة
أن تُصبح رمزا للسلطة
وتملّ الأكباش الفعلة
وتعود أسارى للأسرة
٥
المسخ يتابع الشاة
ويقرأ خافي أفكارها
وعندما يبصرها احتارت
والقلق باد في نظرها
يغادرها فورا إلى أخرى

كي يمنحها نفس مصيرها
-- الباحة جمعاء هدفه
لن يُثنى يوما عن قصده
بمضاء و عزيمة يمضي
ليس هنالك ما يصدّه
-- أكباش الضيعة سيأتيها
لن يشكو عجزا أو ضجرا
وشياه الضيعة سيُغويها
لن يُبقي بوسعه مدّخرا
حتى الأسياد سيقصدها
لن يخشى دفعا أو قهرا
-- فسيأتي السيد يقصده و يخاطبه :
علّ ملك الضيعة بخير
وإن كان يملؤني العجب
كيف ترضون و عن رغبة
أن يعلو سلطتكم عطب؟
بعد أن كنتم عن حقّ
سادات القوة و الغضب
صرتم أشباحا و سلطتكم
صارت كيتيم بلا أب
--- فالضيعة كانت تخشاكم
والكلّ يسعى لمرضاكم
والكلّ يعمل بلا كلل
حتى يتحقق مسعاكم
رغبتكم كانت كقانون
يذل الكلّ لأياديكم
وشياه الضيعة جمعاء
كانت مغصوبة تأتيكم
ما كان لأيهم حقّ
فالأمر منكم و إليكم

--- ثم فجأة و خوف تحدّ قد لا يحدث
أهدرتم سلطة تحميكم
وحسبتم أن فطنتكم
تعلو فطنة باقي الغنم
فوضعتم خطة بوهمكم
تحمي سلطتكم و بحسم
لم يجرِ لحظة بخلدكم
أن خطتكم كالعدم
خطتكم تملؤها ثقوب
من يدركها يأتي الغُنم
--- إحداها بصرته الغَنم
فنالت حقّها في اللقح
وستبصر باقي الثغرات
لتنال مزيدا من ربح
الأمر وقت لا أكثر
لابد لليل من صبح
ففرص الأغنام ستسنح
والفضل إليكم في السنح
--- خطتكم فرضت للغنم ضمان الرزق
يأخذه الناشط و الخامل
كما شرطت رزقا إضافيا
للناشط دون المتكاسل
ملكيتكم صارت مشروطة
بحسن العمل المتكامل
من يهمل ضيعته يفقدها
يأخذها نابه متصاول
--- هيا فضلا
نضع تلك الأفكار جوارا
ولننظر إلام تؤول؟
سنراها تتجه لأمر

وكأنه قضاء مشمول
الغنم كسلها يتزايد
والضيعة يدمرها محول
إذ صار في مصلحة الغنم
أن تخفى الضيعة و تزول
حتى تُنزع من سيدها
ويأخذها حريص و كسول

-- رد الكبش السيد غضبا :

إلام ترمي يا هذا؟
أترانا كنا في خيار؟
عقدة في طريقنا واجهتنا
جلبت خطتنا كإجبار
صرعتنا كادت تهلكنا
سلطتنا آلت لدمار
وكان حتما من خطة
تطفئ ما اشتعل من نار
--- أولاها نيران الحسد
وما تفضى إليه من حقد
يدفع أحدهم لتحدّ
فمنح الأغنام قليلا
يشعرها جميعا بالسعد
وفتح بابا للأمل
يغلق أبوابا لتصدٍ
وتظل سلطتنا مصونة
لا تقربها عين الرصد

-- المسخ ضحك بتصاخب
حتى أغرق :

أتصدّق قولك يا هذا
أم أني في نظرك أحمق؟!
الحسد شعور فطري

من منكم بإياه يشفق؟
الحسد بأنفسكم كامن
كشمس صباح إذ تُشرق
أو صخر بمائه يتشقق
من زعم زواله فهو كاذب
بمحض هراء يتشدق
--- أتريدني أن أقبل غفلة
رانت ساعة على حكمتكم
فظننتم أن فُتاتا
سيُنجيكم من ورطتكم
ويُفني حسد الأغنام
من ثمّ تقبل سلطتكم
حاشاكم ثم حاشاكم
أن يرد ذاك بخاطركم
--- خطتكم يا هذا مكيدة
تعززون السلطة بتنظيمها
حتى لا تبقى شريدة
يُقصيها وقح متهور
أو تُذويها صحة مريضة
وظننتم أن الأغنام
في الباحة غبية و بليدة
ستمرّ عليها خدعتكم
وتراها هنيّة و مفيدة
--- هيهات ثم هيهات
فالغنم يعصمها ذكاؤها
أن تبلغ تلك الدركات
ها هم قد أدركوا ثغرة
سوف تتبعها ثغرات
-- لذلك اصمت و اسمعني
أهديك نجاة للذات

--- الخطة تلك ستتركها
تسعى لمصلحتك في إطارها
ضيعتك ستأتيها دوما
لترى العمال و تنهرها
إن قصّرت يوما في العمل
أو جال مكر بخاطرها
--- أما عن الأجر فماطلهم
أعطهم بعضا دون بعض
واعدهم دوما و اخلفهم
واحذر أن توافيهم بالغرض
وبحنكة صحبتها مهارة
شاغلهم أبدا بالفرض
ولتصغ فرضك بعناية
تجعله أشبه بالعرض
من يُنجزه ينل رضاك
من يتخلف لصق بأرض
والتقييم يعود إليك
وقليل من يحظى بعوض
--- أغنام الضيعة أوغاد
إن فرغت تبرع في الحيل
وستُتدرك ثغرات الخطة
و تُفضي سلتطكم للفشل
فأهلكهم جهدا بالعمل
ماطلهم و ابرع في المطل
اجعلهم دوما في عناء
ليعيشوا هما كالجبل
لا تترك فسحة بأنفسهم
يعبرها بريق من أمل
--- كما أن كثرة تواجدك
في الضيعة يمنحك الفرصة

لتغري شياه الضيعة
فلديك القوة و السلطة
فتفوز دوما بالأفضل
فإليك تتجه الخيّرة
وأي مقارنة تجمعك
مع أكباش منحطة
ستُحسم حتما لصالحك
فالسلطة تعزيز الفرصة
--- ويظلّ بمكنتك أيضا
إغواء شياه الرفقة
بحلو كلام مع منح
ووعود فارغة رخوة
لتلقح منهن من تقبل
تشركك مع رب الأسرة
فاللقحة سلطة كما تعلم
أحمق من حصرها في المتعة
وبذلك تُحفظ سلطتكم
وتدوم القوة و السطوة

٦

السيد غرق في حيرته
يتدبر للمسخ كلاما
والمسخ غادره لآخر
ليراكم فتنته ركاما
فهلاك الباحة شغلته
ومناه يجعلها حطاما
لن يترك في الباحة أحدا
فالفتنة تصحبه لزاما
حتى الهيئة و سادتها
سيُشرع ضدهم حساما
من حلو كلامه و فتنته

ليدمر بينهم وئاما
-- لن يأتيهم جمعا أبدا
فالمسخ من ذلك أذكى
يتصيد ضحاياه فرادى
وبذلك فتنته تقوى
فالفرد إن فقد تعاضدا
في بحر الفتنة قد يُردى
هو نهج يتبعه المسخ
وسادات الهيئة به أولى
فالهيئة للباحة صفوة
وعقولهم أذكى و أصفى
لذا فتنتهم تتطلب
من المسخ قدرات أعلى
لكن ذلك لن يُعجزه
فالمسخ داهية عُظمى

-- لذا يتخير أحدهم
و يُخاطبه بكل الود :

سلطان الباحة فلتحيا
ولتُعف دوما من جهد
ليظلّ سلطانك يعلو
لا يقربه أى تحدّ
شمس تتفرد في سمائها
لا تخش يوما من فقد
أملاكك دوما محفوظة
لا تخش عليها من نفد

-- الكبش يرد بتحدّ :

أتراك بخير ياهذا
أم أن جنونا قد مسّك؟
أم أن عقلك محدود
وتهرف حمقا من بؤسك؟

ما تزعمه غير الواقع
أوهاما تنبت من يأسك
--- ما من سلطان في الباحة
بل هيئة و دورها محدود
إذ نفصل بين أغنام
وأكباش في ضيعتها تسود
حتى نضمن نشر وئام
ما بين سيد و مسود
ونحمي الضيعة من شر
قد ينتجه أى حقود
وحدتنا و قوتنا ضمان
لوئد الفتنة في مهود

-- المسخ بسم في سخرية :

إن يسمح سيدي أخبره
بأن ما قاله لغوا
كلّ الأغنام ستهجره
فالبون مهول في الواقع
ما بين خطة قد وضعت
وبين واقع نخبره
--- كما أني سأتجرأ أيضا
وأخبرك بكلّ وضوح
أن خطتكم حِيكت
فداء الدم المسفوح
فالخطة حِيكت لضرورة
وليس لعدل مرجوح
--- كما أني لن أخجل أيضا
أن أفشي سرّا و أبوح
فالخطة صِيغت بعناية
كي تحمي مصلحة السادة
فنظم القوة يحميها

يمنعها عينا حسّادة
أو سوءة نفس حقّادة
فتظلّ مكانتكم عظمى
تحمون سلطتكم و زيادة
إذ تأمنون شرا يقربها
يحرقها بنار وقّادة
--- كما أن الهيئة و من فيها
قد فازوا بأوفى نصيب
ضياع كبرى محميّة
ووضع شاهق و مهيب
إذ صرتم للضيعة أملا
إن حدث هنالك ما يريب
-- تُخبرني أن سلطتكم
في الباحة سلطة محدودة
كذب و هراء أرفضه
بل سلطة ليست مردودة
وُسِمَت بحدود كي تبقى
وتظلّ دوما موجودة
--- خطتكم صِيغت بخداع
يحدوكم أمل أن يسري
لا يكشف أحد أسراره
وحسبتم أن من الأفضل
تبسيط الخطة في الواقع
ليظلّ كلّ في إطاره
فالسيد سيظلّ السيد
ضيعته كذلك في يمينه
والكلّ مقيّد بإساره
دون أن يدري عن القيد
فالسيد يمنحه مزايا
تجعله يرضى بخياره

--- والكلّ لم يدرك أمرا
فهناك صراع شفاف
سيخوض الكلّ في مساره
لكنه صيغ بعناية
ليظلّ دوما شفافا
فإن غلظ سيسوء مداره
فالسيد يخشى للغنم صعودا
والغنم ترجوه هبوطا
والكلّ يشحذ أفكاره
وبذلك سلطتكم تنجو
لا أحد منها يقترب
أو تدنو منها أخطاره
--- عجبا لجميع الأغنام
فالكلّ يهوى الأكاذيب
الكلّ يحاور و يناور
كي يُخفى حقيقة لا تغيب
مصلحة الفرد هى الأعلى
من يترك مصلحته يخيب
لكن الواقع يحصرها
فالواقع قاس و رهيب
--- لو كان الطهر يُشكلكم
وأموركم تمضي بحب
ما كنتم تلجئوا للخطة
ولسرتم رفقة في الدرب
وظللتم تعملون بتعاون
لم تخشوا من تسلط أو نهب
--- الخطة تكشف أحقادكم
فالخطة بنت صراعات
إذ ما يلجئ صحبة لخطة
كي تنظم لهم علاقات

--- لكن ما لم يرد بخاطركم
أن الخطة كالقشرة
تحوي المصلحة بداخلها
تتوثب بحثا عن ثغرة
حتى تعبرها و تتحقق
وتُسفر عن خافي الرغبة
-- لولا الواقع و قيوده
لصالت المصلحة و جالت
تستجمع خيرا لصاحبها
حتى لو باحتكم زالت
فالآخر قيد يُضنيها
فلولا الآخر ما احتارت
فتوازن قوتكم عائق
لولاه لفعلت ما اختارت
وهو ما يلجئكم للخطط
لتردوا جموحها إن غالت
لكنها لهب طاغ
ماهدأت يوما ما نامت
--- المصلحة لخطتكم خصم
فالسادة هنالك في ضياعهم
مطلق سلطتكم تناكدهم
ما قبلوها إلا ضرورة
خوفا من صرعة تبددهم
وكذلك لن يرضوا طويلا
برعاع الضيعة تهددهم
فيلقحوا شاة تُعجبهم
ويخزنوا عشبة متعتهم
ويكمنوا في الظل بخبث
حتى تأتيهم فرصتهم
--- ورعاع الباحة و شياهها

لن يدم صمتهم طويلا
أحسبتم أنهم حمقى
يرضون في الذلّ مقيلا
ويرضون ما تعطونه
وإن كان معافا و قليلا؟
--- فالخطة أهددتهم حالا
أفضل من سابق حالتهم
والأمر وقت لا أكثر
حتى تتغير نظرتهم
ويرون القمة و فخامتها
وهُمُ في القاع بحسرتهم

المصلحة مثل نيران
العشب الجاف يُغذيها
ما تُدركه صار رمادا
لو مكثت فيه سيطفيها
لذا تتركه و تهفو لآخر
لتنمّي حياة تبغيها
إذ أنى لمصلحة تشبع؟
أو أنى لخطة تُرضيها؟

حتى هيئتكم يا هذا
مصلحة الفرد تُجلّيها
ما صرتم هيئة يا هذا
إلا بالقوة و أياديها
لو كان بوسع أحدكم
فرض هيمنته على الكلّ
لانفرد بسلطة يبغيها
--- خطتكم نِشأت يا هذا
في ظل صراعات القوة
بفطنتكم أدركتم أن
القوة تُفَلّ بالقوة

من تلك الفكرة أنشأتم
هيئتكم كي تحمي القوة
لكن في عمق أعماقكم
الكلّ تُغضبه القسمة
فالكلّ يرغب في السلطة
والكلّ تُعجبه الفكرة
--- من يرفض مطلق سطوته
والباحة تحتكم لرأيه
والكلُ يُشيد بحكمته
والخير يصحبه في سعيه
--- لكنه يعلم أيضا
أن قوته ستخذله
لو صُدِم بقوة زملائه
فالهيئة جميعا تَعْدله
لذلك يكمن منتظرا
فرصة تأتيه و تنصره
--- وحدتكم في الهيئة قشرة
تستبطن فِكرا مخفية
تنتظر فرصة لتُظهرها
وتُصبح فِكرا مرئية
--- الفرص قد تبدو بعيدة
لكني أبصرها قريبة
فالباحة حبلى بأحداث
ستنفجر مرة و رهيبة
والكلّ فيها سيتحفز
بالكلّ بلاء و مصيبة
والباحة ستضربها الفوضى
فتغدو مهيضة و سليبة
والفوضى قد تخلق فرصا
تتراقص فرحى و رغيدة

من يُبصر إياها يقتنص
إن لزم خداعا و مكيدة
--- النابه عندي من يسعى
ليعدّ عتاده و عدته
لا يكمن خاملا في الظلّ
حتى تأتيه فرصته
بل يشكل من نفسه كيانا
تعدل هيئتكم قوته
وليسعى بحرص و بلطف
حتى لا يكشف خطته
--- فيراسل أسياد الضّيَع
ليشكل منهم أعوانا
ويعاضد أبناء الضّيَع
ليعطونه من القلب مكانا
ولينصف ضعفاء الضّيَع
وليدفع عنهم طغيانا
وليبرز دوره في الهيئة
وكأنه أعلاها مقاما
إذ ذاك مكانته ستسمو
والكلّ سيبصره أمانا
--- وبذا تتراكم قوته
لحين موعد سلطته
إن جاءت فرصته عَرَضا
فسيدرك منها حاجته
أما إن بَطُأت فسيسعى
وبيده يصنع فرصته
--- فيحرك أعونه لتُحدث
في الباحة فوضى مقصودة
دون أن يظهر في الصورة
لتظلّ سيرته محمودة

من ثمّ يقضي على الفوضى
ليُحصّل سلطة موعودة
--- إن كنت لا تدرك هذا
فلتبك حسرة على نفسك
رفقاؤك في الهيئة يدرون
وستنال خسارا على حمقك
وإن كنت تدري فلتبدأ
مسارا يُفضي إلى رسمك
سلطة مطلقة في الباحة
هيا فلتقصد إلى حسمك

٧

المسخ و قد أحسن فتنة
للكبش سيتركه سريعا
كي يقصد باقي زملائه
فالهيئة مقصده جميعا
والكبش يظلّ بحيرته
توشك أن تهلكه صريعا
-- المسخ سيظلّ يدور
في الباحة بين الأغنام
لا يعرف كللا أو مللا
فالفتنة عنده كهيام
سيظلّ يدور ليُسقطهم
لا يُعجزه لغو كلام
حتى تتحقق أهدافه
والباحة تهوى لحطام
ورويدا أثره سيتضح
وتتبلبل كلّ الأوهام
-- لن تتبعه الغنم جميعا
فالبعض بوعيّه سيردعه
ليقاوم أثرا كالسحر

وإن كانت نفسه تتبعه
فالرافض يختط طريقا
ما بين المسخ و موضعه
إن غفل لحظة سيضلّ
والمسخ سريعا يُوقعه
-- والناجي من فتن المسخ
سيحمي وجودا للباحة
فالمسخ أثره سيتنامى
ليعمّ خراب في الباحة
--- في الضيَّع الأكباش ستكسل
وتُفرط في طلب الراحة
--- أما الشياه فستخون
رفقتها جهرا و صراحة
فستُعطي لقحها من يبغي
لن ترفض طلبا للقاحة
--- والأسر ستهوي و تنحط
وستهجرها أى رجاحة
--- والسرقة ستفشو في الغنم
وستُأتى جهرا ووقاحة
--- والكذب كذلك و الغش
أمور سهلة و متاحة
ما يجلب مصلحة فافعله
بهدوء و بكل بجاحة
--- أما السادة فقد رغبوا
في قهر الباحة بسلطان
كلّ في ضيعته رغب
في حكم الضّيعة بهوان
وحسب أن بقدرته
جبر رعاياه على العمل
كذا سلبهم بالمطل

وحوذ شياه للكلّ
فحفز الأغنام جميعا
للثورة ضد الطغيان
--- فالسادة فاتهم أمر
لم يجر لهم بحسبان
أن ما ولى قد ولى
ابتلعته دروب النسيان
فحراك الأغنام إذ بدأ
لن يتوقف عن جريان
كنهر دافق و فتي
يتبختر نحو الوديان
إن وُضِع عائق في طريقه
سيحيله هباء في ثوان
فمن الممكن بدء حراك
وإيقافه دون الإمكان
--- قبل الخطة الأغنام
كانت تتقبل أوضاعها
عنت دائم
محض شقاء
من قبل شروقها لمسائها
حتى في اللقح فقد كانت
تنضبط و تكبت أشواقها
--- لكن بعد الخطة ذاقت
ما كان عنها مخفيا
وعهد هوانها و تحقيرها
قد صار سريعا منسيا
كما أخذت ترجو و تنتظر
عهدا كالنسمة مرضيا
والأمر آت بنظرها
وتراه حتما مقضيا

فالأمر وقت لا أكثر
ويصير حقا مرئيا
ما فات مات برؤيتهم
هو أمر صار مطويا
والسادة ليس بوسعهم
إعادة ميتهم حيا
--- لذا حمق السادة أغضبهم
حولهم جمرا محميا
ينقصه العشب ليشتعل
ويصير دمارا أبديا
فإما يلحقون بالسادة
وإما يحترقان سويا
-- وبذلك سكان الباحة ماجوا ببعض
الكلّ بالكلّ يترصد
بل حتى سادات الهيئة
قَلّ منهم من يصمد
فالعطب قد وصل إليهم
وبقاء الهيئة يتهدد
معظمهم يطمح في السلطة
على كلّ الباحة يتسيد
وحتى تنجح خطته
يُذكي خلافات تتمدد
كي تسعى دمارا في الباحة
وهدوء الباحة يتبدد
طمعا أن تأتيه الفرصة
والباحة تبصره الأوحد
من وأد فتنة تستشري
من ثمّ تتبعه لتسعد
--- الباحة صارت كخروف
على قمة جرف صخري

والأرض تحته تتهاوى
وسقوطه أمر مقضي
يرجو معجزة تنقذه
لينجو من موت حتمي

سماء الباحة تتجهم
وأرضها تغلي بالغضب
والكلّ غادره سلامه
كي يُشعل نارا للحرب
-- في هذا الجو المأزوم
كبش اللعنة سعى لطلب
فأخذ يطوف في الباحة
ويثغو صياحا بالعجب :

تلك الباحة ملعونة
لن تظفر يوما بالإرب
فالساحة تطلبها حثيثا
لن تنجو يوما من طلب
أغضبتم ساحتكم حين
حرمتوها من شرف النسب
وأردتم نسبا لذواتكم
وملّلتم عيشا على الرحب
وأقمتم حصرا في الباحة
تبغون ضمانا للسبب
--- مذ ذاك و ساحتكم ثارت
لعنتها من نبع فارت
لتصبها نقمة على الباحة
فالساحة لفعلتكم قالت :

عشبكم ينميه العنت
شكواكم يصدمها الصمت
لتُحرموا ديمومة راحة
وليفشو بينكم السحت

لتكونوا عوانا للسادة
وليخرس بينكم الصوت
-- والسادة فليحيوا جحيما
سلطتهم سوط شِقوتكم
تُفقدهم سعدا و نعيما
صرعتهم دوما تُرديهم
ليظلّ شقاؤهم مقيما
-- أما الشاة سر الفكرة
لتظلّ عوانا للكلّ
لتسحل عملا في الباحة
وتهون في نظر الكلّ
لقحتها جبرا ستكون
لن تلفت رغبتها الكلّ

تلك كانت لعنتكم
الساحة بحرص صاغتها
أملا أن تُفشل مسعاكم
وتعودوا طوع إرادتها
لكنكم بعناد صغتم
خطة فأثرتم حفيظتها
فبَلتكم بالمسخ عقابا
فالمسخ نتيجة غضبتها

المسخ سفير للساحة
والساحة تمنحه رجاحة
سيظلّ يطوّف بينكم
ولسوف يحرمكم راحة
من فطنتكم مكره أقوى
من منكم يعدله فصاحة؟

-- كبش اللعنة ثغاؤه
أثار الغنم و أرعبها
وكأن ما كانت فيه

من همّ ليس يُرهبها
حتى يأتي هذا الكبش
من ظلّ أمان يسلبها
-- الباحة يعلوها قنوط
من همّ توشك تتشظى
أعشاب جافة ينقصها
بعض شَرار كي تتلظى
ولولا حكمة أغنام
بفتن المسخ لم تُردَ
ونظام مخفي صارم
تسلكه المصلحة لتبقى
لانهار نظام الأغنام
والباحة آلت للفوضى
--- فالمصلحة يحكمها نظام حدي
يجعلها لتوازن تُفضي
بعض الغنم سيُدركه
من قلب الفوضى إذ تمضي
من ثمّ بحكمة يتبعه
كشعاع يرسل بالومض
--- فالمصلحة لا تدرك شيئا
غير رفعة صاحبها
هي دوما تجنح لغلو
كي تضمن خيرا لصاحبها
والأخر بنظرها عدو
تهديد يقصد صاحبها
لذلك لا تألو جهدا
حتى تخضعه لصاحبها
لكن للمصلحة حدين
كلاهما هدفه صاحبها
وكأنهما طريقا سير

كلاهما يُفضي لصاحبها
فالعالم تذرعه رغبات
غير رغبة صاحبها
تلك الرغبات ستتصارع
وكلّ تنحاز لصاحبها
حتى تفضي الصرعة لعقدة
تصبح تهديدا لصاحبها
إذ ذاك المصلحة ستجنح
لتَوازن يُنقذ صاحبها
تتصنع قشرة من سلم
ما بين الآخر و صاحبها
هي محض قشرة لا أكثر
فالعمق جميعه صاحبها
--- لكنها قشرة ستبرّد
صراعات كانت مشتعلة
وستُجبر إرادات شتى
أن تقعى جميعا مجتمعة
--- والكلّ سيبحث عن مسرب
ليحقق هدفا يستره
هدف فحواه مصلحته
في ظلّ توازن يقهره
مسرب تحصره في الظاهر
تلك القشرة و تؤطره

كبح الداخل

١

ذاك ما حدث مع الغنم
فسعي الكلّ لمصلحته
أسقطهم في بحر الهمّ
باحتهم كادت تتبدد
ووجودهم يُفضي لعدم
وعندما عظمت مصيبتهم
وسقطوا سويا من قمم
ذهبوا لأكباش الحكمة
وألقوا إليها بالسلم
يرجونها كي تفعل شيئا
وتقضي في الأمر بحسم
فعقدوا جمعا في الباحة
علّه يُنجيهم من ألم

-- كبش اللعنة بادرهم :

إخواني الأمر خطير
الساحة هنالك تطاردنا
والمسخ للساحة سفير
لا تبغوا تحد للساحة
فينقلب عليكم تدبير
والرأي عندي أن نرجع
لعهد رائع و مثير
عصر التجوال الذهبي
ونرتاح من تكدير
والساحة بذلك نُرضيها
وحياتنا بالحب تسير
والمسخ كذلك نُخذيه
حائرا قد فقد التغرير
لا يغرّركم عشبة متعة

أو رعي دائم و وفير
--- استقرارنا سرّ تعاستنا
إذ أغضب منا ساحتنا
وفجر أحقر صراعتنا
وأبعد عنا سعادتنا
وحتى تكمل مصيبتنا
ساحتنا بمسخ أبلتنا
لا تتوانوا و لننطلق
فالسعد هنالك طُلبتنا
-- أغنام الباحة تضطرب
لا تدري أمرا تأتيه
أتضحي برزق مضمون
كي تشقى هنالك في التيه؟
أتضيع هباء رغبتها
في نعيم كانت تبغيه؟
أحقا يمكنها العودة
لعصر بعدت أراضيه؟
-- قطع ترددها و حيرتها
كبش أقرن ثاغ بقوة :
أقراني جميعا فلنهدأ
فالساحة ليست سوى كذبة
هذا الكبش يرددها
صارت عنده أعظم حجة
يفسر عبرها موقفنا
ويحسبها نعم الفكرة
فصاحبنا يخدع نفسه
ويرجو قبولنا للخدعة
--- الساحة ليست سوى جمد
لا تملك قدرة على الفعل
والمسخ كيان من شر

يبغي إغواء للكلّ
لكنه رغم شروره
ليس سوى قدرة على الجدل
إذ ليس بوسعه إجبار
نحن من يرضى بالفعل
--- ليست لباقته بمفردها
هي ما يُسقطنا و يُردينا
بل إنّ عيبا داخلنا
يجعله يتحكم فينا
المسخ لبق في الواقع
ذا حق نعلمه يقينا
لكن لباقته لن تُجدي
إلا لو كنا محبينا
وعلم المسخ بذواتنا
يجعله أدرى بأمانينا
وبجدله يداعبها عمدا
ويُصب أهدافا تضنينا
--- نحن نتخبط في مسيرنا
نتكشّف ما خفي عنا
فذواتنا شِعب معتم
يتكشف كلما أوغلنا
--- في عصر التجوال الذهبي
كنا في الخارج ما زلنا
لا نعلم شيئا عن صرعة
أو نملك شيئا يقسمنا
فالعشب مشاع في الساحة
واللقح لمن يرغب منا
--- من ثمُ دلفنا للشِعب
وذلك حين استقررنا
--- واستقرارنا

راكم خيرات بديارنا
فتحرّرنا
من سعي كان يقهرنا
--- وتحرّرنا أفضى سريعا لتمايزنا
فتمايزنا وفق القوة
--- وتمايزنا آل سريعا للملكية
والملكية دفعتنا في الشعب بقسوة
--- فالملكية قيد القوة
إذ صار بحوزة قوتنا
ما تخشى رعبا من فقده
ولن تألو جهدا لتصونه
وتبعد غيرها عن حصده
--- وتحاسدنا
فالخالي يحسد من يملك
والمالك من يملك أكثر
--- وتحاقدنا
فالخالى ينتظر بوارا
للمالك حتى يتتدمر
والمالك يُرعبه الخالي
إن كان قويا يتبختر
--- الوضع بسوئه أرعبنا
فتناقشنا
ووضعنا خطة دفعتنا
لمناطق من شِعبنا أحقر
--- فهناك الكذب و الكسل
وهناك الطمع و الختل
وهناك الجشع و البخل
وهناك مساوئ لا تحصر
تنتظر هنالك في الداخل
إذ تُدرك تنكشف و تظهر

--- تلك الأحقار بأجمعها
لم ينتجها وضع قرّ
فالشِعب كان موجودا
في عصر التجوال الحر
ولأننا لم ندلفه
لم ندر خيرا من شر
--- وتخيُّله أفضل عصر
زعم كاذب
هو بالأحرى عصر الغفلة
إذ شِعب ذواتنا مهجور
ونطوف خارجه جهلة
لكننا إذ ندخله
نتعرف أنفسنا الحقة
بكل عيوبها و مزاياها
لا نتغافل عنها بحمقة
--- ويكفينا
أن نختار ما يُرضينا
ونقبل سعي أيادينا
وأن بوسع فطنتنا
أن تتدخل كي تنجينا
فنصوغ خطة محكمة
كي نمحي ظُلُم لياليا
حتى لو فشلت سنعاود
لن نقبل قهرا يأتينا
لن نرضى حقرا لذواتنا
عن رغد حياة يُثنينا
--- لن ننتكس
لنعيد زمانا قد ولّى
ما دمنا في الشِعب دلفنا
فالمكث بداخله أولى

فالواهم من يزعم أن
عصر التجوال بنا أحرى
فليذهب ليجرب ذلك
كي يتجرع مرّ الشكوى
من يرضى بعد أن قرّ
وضمن كثيف الأعشاب
وتمرّغ في عشب المتعة
أن يُفضي ذلك لسراب
ويُعاود سعيا في الساحة
ما بين ذهاب و إياب؟!
ستظلّ ذكرى استقراره
تُصليه جحيما و عذابا
فشِعب الذات إذ تدلفه
سيفتح دونك أبوابا
يدفعك من الخلف إليها
ما تتركه صار يبابا
إن ورد ببالك إرجاعه
ستراه جحيما و عذابا
كما تقبض نفسك طلعته
لذا تغلق من دونه بابا
--- من يزعم عودا بمكنته
واهم تعجبه الخرافات
فليقبل جمعنا بحقيقة
أن ما فات قد فات
ولنسع لننظم باحتنا
ونجعلها أبهى الباحات
ولنعلم أن آتينا
تملأه هناك فجاءات
إذ ذاك سنعمل فطنتنا
لنواجه تلك الحالات

٢

قبل أن يكمل فكرته
أمر حدث فسكت سريعا
الجمع علاه توتره
وثغاؤه في الجو مريعا

-- وانكشف المشهد عن كبش
خرق الجمع و سقط صريعا
من ثم علاه تنهده
وحكاهم ما كان فظيعا :

أمر جلل حدث هنالك
باحتنا تُحدقها البلوى
المسخ هنالك يحصرنا
لن ينفعنا مرّ الشكوى
من منا كفؤا للمسخ
المسخ في باحتنا الأقوى
حتى الموت لا يخشاه
بل نحوه برضاء يسعى

-- ثاغوا صخبا :

ماذا وراءك
وعلام تهريفك تترى؟

-- ثاغ برعب :

ما تم هنالك لا يُنسى
كنا اثنين
أنا و رفيق يكبرني
عضلاته تعدل عضلاتي
وقرنه أضخم من قرني
وكأنما قُدّ من صخر
إن نتفاخر سيفاخرني
نحن من أكباش الهيئة

-- آتانى يوما

ساررنى :

هذا المسخ يُكثر شره
والباحة يُرديها بسعيه
والرأي عندي نقتله
والباحة تنجو من فعله
فلنُحكم بيننا خطتنا
حتى نتمكن من قهره
--- وتبعناه
وعلمنا أن تجمعنا
يُخذيه و يُبطل مسعاه
ما إن نتجمع لتشاور
حتى يرفع عنا يداه
ليطوف وحده في الباحة
يبحث عن فعل يهواه
فرد مفرد يرعى بغفلة
يقصده تدفعه مناه
--- فتعاهدنا
إن كان يوم تجمعنا
نتخلف وحدنا بباحتنا
حتى نحكم خطتنا
فسنكمّن للمسخ بمنجى
حتى يغدو بمحاذاتنا
من ثم نفجؤه سريعا
ونريح منه جماعتنا
--- سارت بنجاح خطتنا
والمسخ أقبل في فخر
رفيقي قفز و واجهه
وبقرن قُدّ من صخر
يحمله رأس كالجبل
وسريعا في لمح البصر

وجّه ضربته إلى العنق
فأطاح الرأس من النحر
--- لم يسقط
بل ظل مقيما بلا رأس
ورفيقي جحظت عيناه
يتردى في حفر اليأس
لا يدري بماذا يبادره
ليسقيه موتا من كأس
--- كنت ما زلت بمخبئنا
مصعوقا أبصر ما يجري
فخطر ببالي أن أقفز
أفجأه بحيث لا يدري
من أين تأتيه الضربة
ونحقق ما كنا نبغي
--- في تلك اللحظة أبصرت
ما حُرّ الحركة أفقدني
ما فجّر قلبي ضربات
أوشك أن يقفز من صدري
-- في موضع رأس مقطوعة
المسخ يُنبت رأسين
والجسد الضاوي جثته
يتعاظم في غمضة عين
ورفيقى المنذهل أمامه
يقبضه بكلتا اليدين
ثم يعصره بقوته
فيختلف منه الكتفين
من ثمّ يرميه صريعا
ويمضي قرير العين
--- حبست أنفاسي بصدري
رعبا أن يسمع أنفاسي

وضغطت بحافري على قلبي
رعبا أن يفضح إحساسي
فالرعب سيطر على ذاتي
والرعب صار وسواسي
--- أتراه رآني و يخدعني
يعجبه رعبا يقتلني؟
--- أتراه يتعمد غفلة
حتى بالأمل يشاغلني؟
--- أتراه فجأة يلتفت
حتى يقبضني و يعصرني؟
--- ظلّلت بمخبئي لحظات
أقسم أن مرت سنوات
يعلوني الرعب مع الرعدة
أنتظر زوالا للذات
حتى ابتعد و غادرني
لم أدر غير القفزات
خطوات تتابع تترى
لم أدر بعد الخطوات
من مخبئي إلى جمعكم
لم أستغرق سوى لحظات

-- كبش اللعنة ثاغ بألم :

اللعنة حق فانتبهوا
لا تبغوا تحدّ للساحة
فيغمركم ألم فاحترسوا
المسخ خرج عن طوره
مقتلكم قادم فانسحبوا
فلتهجروا باحة ملعونة
وصوب الساحة فارتحلوا
علها تغفر ذنب تحدٍّ
فرصتكم لاحت فانتهزوا

-- الجمع في بعضه ماج
ساكنهم ارتعد و هاج
وانطلقوا جميعا في بكاء
يندفق كماء ثجاج
فسوق الهدأة قد كسد
وسوق الرعدة قد راج
وضوء نهار يجمعهم
من رعدتهم ظلُم و داج
-- لم يسكتهم غير صراخ
ينطلق كرعد رجراج
من كبش تعلوه الهيبة
ويسوق كلامه كحجاج :
يا كبش اللعنة يكفيك
إن كانت الساحة تُرضيك
ها هى في الخارج تُناديك
فانطلق إليها على الرحب
ولتبعد عنا مخازيك
ولتصحب معك من يرغب
إن كان ذلك يواسيك
وإن رغبوا جميعا فاصحبهم
وسأبقى وحدي دون شريك
--- فأنا لم أجبن يوما في تحدّ
لم اعتد يوما على فقد
إن كنت تهددني بساحتك
ساحتك عندي كالجمد
باحتنا خير مضمون
لن أتركها كي أستجدي
لن أفرق خوفا لمزاعم
تنظمها حزما عن عمد
--- رفيقانا لم يُحسِنا تدبيرا

وحادا عن سبل القصد
لم يخبرا أحدا برؤاهم
وشمّرا عن ساعد الجد
وحسبا أن بوسعهما
قتل المسخ بطعنة نفد
لو أشارونا للفتناهم
بأن ذلك لن يجدي
--- فالمسخ طبيعته غريبة
ندركها من كثرة رصد
فالمسخ منذ مولده
ينمو دون الحاجة لزاد
لم يرضع لبنا من أمه
فهي وضعته بالكاد
من ثمّ رحل و غادرها
لم يحتج وقتا لرشاد
بضع سويعات لا أكثر
ما بين رشاد و ميلاد
كما أنه لا يهدأ
لم يرنوا يوما لرقاد
مع ذاك نراه بعافية
يسعى كصخر في الوادى
--- بل إن هناك في مسلكه
شيئا أبصرناه يقينا
المسخ يتغذى علينا
خطايانا تجعله سمينا
لذا لا يشبع من فتنة
يأتيها لبقا و رزينا
--- فبشكل ما هذا المسخ
عبر ذواتنا
إجتاح الشِعب لآخره

من ثم جاء إلى حياتنا
فالمسخ يعلم عن ثقة
أقصر درب إلى نزواتنا
فيخوضه بثقة و سهولة
ما يمكّنه من إسقاطنا
--- لذلك لم نره يوما
يقرب جمعا
فالمسخ من ذلك أوعى
إذ يختار ضحاياه فرادى
فذلك يجعله أغوى
والمسخ يُحكم خطته
ما يجعله نارا ترعى
لذاك و رغم دمامته
نسمعه و نُنُجح له مسعى
--- المسخ لا يقتل أحدا
فذلك عنده تبديد
يُخلي الباحة من قطانها
وهلاكه إذ ذاك أكيد
من تلك الجهة لا تخشوا
للمسخ وعد و وعيد
أما عن قتله للكبش
فلأنه واجهه بتهديد
إذ جرأ و فكر في قتله
فأثار غضب الصنديد
ما تمّ يثبت للمسخ وجودا خاصا
أما رأساه فتأكيد
--- المسخ لا يُقتل غيلة
وليس هنالك من حيلة
لإزاحته
ما دام الحسد يُشكلنا

والحقد هنالك يحكمنا
سنظل ضحايا سطوته
ما دام الآخر شِقوتنا
وإيذاؤه كلّ رغبتنا
ستجري علينا إرادته
ما دامت شاتنا مطحونة
برضاء الكلّ مرهونة
ستنجح دوما خطته
إن رمنا للمسخ زوالا
فلنرقى لنكسر شوكته
فلنتعالى على خطايانا
ونصعد ضد رغبته
--- ولنعلم أن الدرب طويل
والآتى مهدد بالفشل
فشعب الذات لازال عميقا
وحُجبه لن تُكشف بالعقل
فلابد كي نكشفها
أن نسعى إليها بلا وجل
فنحن لا نملك فرصة
غير العمل
كما أننا نملك خياراتنا
ولذلك ننعم بالأمل
ما دمنا نملك خياراتنا
لن نرضى بحياة الوحل
مهما بغى المسخ علينا
سنقاوم كي نحيا بفضل
إن سُدّ درب في مسيرنا
سنصنع آخر على عجل

-- ثاغ الجمع :

ذاك كلام

من عشب متعتنا أشهى
من ماء يتدفق أصفى
إذ يوعدنا أن نفسد للمسخ مسعى
وفى خير باحتنا نبقى
لكنه محض كلام
نريد فعالا كي نرضى
وإلا فحياتنا تهديد
من مكر المسخ و الفوضى

-- ثاغ بحسم :

نحن مذ جئنا للساحة
وبعفوٍ أحوالنا تمضي
في عصر التجوال قديما
أجدادنا كانوا أحرارا
لم يعرفوا شيئا عن صد
من يرغب شيئا يفعله
فالساحة أمامهم مشاع
في القرب كذلك في البعد
لم تَرِد الملكية ببالهم
فذلك فعل لا يجدي

فالترحال فعل دائم
والملكية مطلق قيد
لذلك سادهم تعاون
لم يعرفوا شيئا عن بغض
لم يسمعوا يوما عن حسد
أو غلي نفوس من حقد
لم يطمعوا فيما عند الآخر
فليس للآخر من عند
لم يقصدوا شيئا من ذلك
فالأمر تم بلا قصد

لذا أيضا لم يدروا فضيلة

أو سمعوا عن فعل العمد
أو رغبة ندم يعقبها
أو فعل يُدفع بتحد
ما يرد ببالهم يحدث
في حياة تخلو من العقد
--- وعقب استقرارنا ظلّلنا
بالعفو نمضي في طريقنا
رغم تعقد علاقتنا
ورغم ظهور تملكنا
إلا أن الرغبة ظلّت
دربا مختارا لسلوكنا
لكنها قرنت بالقوة
من يرغب شيئا يفعله
ما دام يقوى على ذلك
أما من ضعف فيتدني
وليرضى حياة في مهالك
وكلاهما لا يشكو غضاضة
من كون الأحوال كذلك
--- فالقوة صارت تبريرا
لصاحبها يفعل ما يهوى
لن يثني رغبته إلا
رغبة من رغبته أقوى
والضعف صار تحقيرا
يحرم صاحبه من الشكوى
ومع استقرارنا و تمايزنا
أنتجنا ضلالات شتى
إذ برز في أنفسنا الحسد
والطمع فيما عند الآخر
وصرنا نغلي من حقد
ونرجوا زوالا للآخر

بل صار يملؤنا السعد
إن نزل بلاء بالآخر
سجايانا المنحطة تلك
صارت تهديدا لما نملك
الرضا من فوره غادرنا
وصرنا في السخط نسلك
--- السيد يرعبه تحدٍّ
يخسره فيفقد ما يملك
ورعاع الباحة تُحركهم
رغبتهم طمعا فيما نملك
لذاك وضعنا خطتنا
حتى نحمي ما نملك
لكنها أفضت لنظام
هددنا و هدد ما نملك
--- فالخطة بسرعة دفعتنا
لنخوض في عمق ذواتنا
ولنبصر ما خفي عنا
ونزداد شقاء في حياتنا
--- ومع الخطة ولد المسخ
وكأنه توأم تعاستنا
فبشكل ما يرى بوضوح
أحط دوافع فكرتنا
فيخاطب فينا دوافعنا
ويغازل فينا رغبتنا
حتى نصبح ملك يمينه
ونتبعه بإرادتنا
--- وكأنه فرض استسلاما
فنحن و برغم الخطة
رغبتنا نتبعها إماما
بل نسخر حتى من الخطة

فنهجرها و نبتدع نظاما
فالكلّ يسعى لمصلحته
ويهيم بإياها هياما
وسيسعى حتى يُحققها
ولأجلها سيخوض مهاما
فسيحتل و يغش و يكذب
ويضل و من عمله يهرب
وسيسرق جهد من يتعب
ويخاتل رغبة في المكسب
لن تردعه أى دناءة
لن يشغله غير المطلب
--- نأتي ذلك دون كوابح
من داخلنا
كوابحنا دوما تأتينا
من خارجنا
--- في عهد التجوال قديما
لم ندر كوابح تكبحنا
--- وعندما حان استقرارنا
كوابحنا كانت قوتنا
--- وعقب الخطة المرسومة
كوابحنا صارت هيئتنا
--- ما دام الكابح من خارج
لن يمنع عنا تسفلنا
فتسفلنا ابن الداخل
مصدره الذات فيهزمنا
إذ يرعى هناك بمفرده
من دون عاصم يعصمنا
والمسخ إذ يعلم ذلك
يتمكن بسهولة منا
فالمسخ يأتينا فرادى

والكابح مبتعد عنا
ويدعو الذات لتتبعه
فتسايره و تخذلنا
لو وجد كابحا في الداخل
لجادله دفاعا عنا
--- فلنزرع في الداخل كبحا
ونعزّزه
وجميعنا يسعى ليحفظه
وسنتواصى كي ندعمه
من يتبعه و يخزي المسخ
سلوكه جميعا نحمده
من يسعى هبوطا و يخونه
نُخذيه و شأنه نحقره
بل نرفع أمره للهيئة
لتعاقبه
إذ كبح الداخل لا يلغي كبح الخارج
بل هو عون يدعمه
--- وكبح الداخل محوره حق الآخر
إذ عبره تحفظ حقك

لا تسرق عشبا يملكه
فيسرق أعشابا ملكك
لا تشتهي شاته قرينته
فيشتهي أشياها عندك
لا تكذب حتى تخدعه
وتحسب ينجيك كذبك
خداعك إياه يثيره
فيسعى كي يُفشل سعيك
إذ صونك للآخر حق
يحميك و يرفع من شأنك

--- ولننتبه

لا نفرط في الأمل بحمق
ولنعلم أننا نختط
طريقا قد يُفضي لزلق
لكننا ننشىء بنيانا
سنوغل فيه مع الرفق
--- نظامنا سوف نُعدّله
لن نُقسم سادة و رعاع
والهيئة سوف نُنظمها
كي تصبح هيئة إقناع
حتى الملكية نهذبها
كي نضمن ضبطا لمساع
--- فالغنم ستُقسم أسرا
محورها كبش مع شاة
كلّ منها ستُمنح أرضا
حتى تضمن رغد حياة
لكنها لن تملكها
كي نخزي كيدا لبغاة
فالناتج يُرفع للهيئة
فكباش الهيئة كجُباة
تأخذ ما تنتجه الأسر
وتوزعه بمساواة
فنغلق بابا للحسد
ونبطل سعيا لطغاة
--- والباحة سوف نُقسّمها
لنيسر للهيئة عملا
لكنها ليست ضيعا
بل أقساما تتبع نظما
كل منها مثل الآخر
يشابهه أرضا مع أسرا
والهيئة سوف ترعاها

لكلّ منها ترسل كبشا
ليشكل هيئة تتبعه
كي يُحسن بموضعه صنعا
--- وباقى أكباش الهيئة
ستشكل هيئة علوية
تشرف على كلّ الأقسام
وترعى الباحة بسوية
كي تضمن نظما للعمل
بحرص و بكلّ جدية
--- و الهيئة لن تُغلق دوما
على أصحابها
بل ستترك مفتوحة
للغنم جميعا تطرقها
--- فالفرد المخلص في العمل
المُحبِط سعيا للمسخ
يترقّى كي يصبح عضوا
في هيئة قسم يتبعه
ليحل محل أعضاء
في تلك الأقسام ترقّوا
ووصلوا للهيئة العلوية
فالكلّ سعيه يرفعه
--- والهيئة العلوية ستتغير
فهناك نظام دوار
الباحة جميعا تتبعه
مع كلّ عام سيمرّ
سنبعد ربع الأعضاء
وهذا الربع نوزّعه
للعمل في أرض الأقسام
ليحل محل من صعد
ما عاد أمر يمنعه

--- كما أن الكبش الذي يسقط
وكلام المسخ يسمعه
سيطرد فورا من الهيئة
وبذلك يشغر موضعه
وبذاك الأغنام سترضى
فالكلّ لديه فرصته
ليرقى و يُعلي موضعه
--- ولنعتدل في تفاؤلنا
فالمسخ لن يتركنا
وسيجد وسيلة يُهاجمنا
لكنّا بكبح نملكه
ونظام جيد نتبعه
سنزيد فرص تحرّرنا
فالمسخ كان يأسرنا
من دون سلاح يعصمنا
والآن سنبطل مسعاه
إن نحن للكبح اخترنا
--- و لنعلم أن الكبح
و إن كان حديثا في حياتنا
إلا أنه أمر
يمتد عميقا في ذواتنا
فذواتنا تشبه دربا
مخبوءا فيه قدراتنا
قدراتنا تلك منوّعة
ولنعلم شيئا عنها
الخوض فيه وسيلتنا
و ما سنقابله هنالك
ليس أمرا من خارجنا
بل هو من عمق ذواتنا
لكنه لن يتبدى

إلا بشرائط تُظهره
تتراكم عبر رحلتنا
--- فبساطة عصر التجوال
لم تظهر شيئا من ذلك
--- وعصر القوة المغوار
أظهر صراعات و مهالك
لكنه أظهر أيضا
نظاما يتبعه السالك
--- فكانت خطتنا و معها
دُفعنا لليل الحالك
إذ معها انحطت أخلاقنا
ودروبنا ملأتها مزالق
لكننا و لخير فينا
لم نقبل بالحطة هنالك
وسعينا لننقذ أنفسنا
ونقهر رغبتنا كذلك
--- فهدانا وعينا للكبح
نرجوه فتحا لمغالق
ومعه سيفجؤنا الدرب
بكل غريب و مفارق
لكنّا سنُكمل رحلتنا
بيقين و بخطو واثق
ما دام الوعي بحوزتنا
لن يردعنا درب خانق

٣

الغنم ثاغت بالبشر
يُفرحها خطة قد رُسمت
عصر الملكية قد ولى
والباحة جميعا قد قُسمت
والكلّ سيعمل بالرفق

وأمور الرزق قد حُسمت
فالكلّ سيأخذ كفايته
والحرص أيامه ولّت
--- وطريقها صار مضمونا
من حقل القسم لهيئته
لهيئة عامة علوية
هو ليس طريقا مظنونا
بل حتى المسخ بإغوائه
قد صار بوعيها مرهونا
ستواجهه بكبح الداخل
ما عاد وجودها مغبونا
فشمس رقيّها تتعالى
وغدها صار مأمونا
--- لم يدرك أي من الغنم
أن المسخ بتلك الخطة
أسعد منهم
فأخيرا منحوا إغواءه
معنى كالليل الحالك
سيُجندلهم
فسقوط الغافل و الجاهل ليس سقوطا
إن قرن بسقوط القهر
فسقوط القهر يُحطّمهم
--- في السابق كان يفتنهم فيطيعوه
وبرغبتهم دون الجبر
فالرغبة كانت حاكمهم
والمسخ كان سيدها
لذلك تبعوه بيسر
في شباكه سقط معظمهم
--- لكنه ليس بأحمق كي يخدعه ذاك سقوط
وإن كان يحقق أهدافا

فالغنم جُلّها بيمينه
كراع و يقود خرافا
لكنه يرجوها سقوطا
يمسّ من القلب شغافا
إذ يغدو سيد أرواحها
ترجوه و ترفض إنصافا
--- فالبون شاسع في الواقع
ما بين سقط عن رغبة
وبين سقط عن قهر
فالساقط عن رغبة جاهل
لا يدرك شيئا عن كبح
لا يعلم شيئا عن خسر
فالروح سليمة كما كانت
والذات و إن سقطت دامت
ما مسّها شيء من كسر
--- أما الساقط عن قهر
فاختار بديلا مُنحطا
عن كبح راق و سمو
لذلك روحه تتلظى
إذ حُرمت من أي علو
وكذلك ذاته تتشظى
ما بين رشاد و غلو
--- المسخ يُدرك بالطبع
أن إغواءه سيتقلص
فالبعض و بفعل الكبح
لسوف منه يتملص
لكن ذلك لن يُغضبه
فما من الكمّ سيفقده
سوف بالكيف يُعوضه
--- فما أسهل أن يغوي كبشا

من دون وازع يمنعه
لكن الأجدى إغواؤه
ولديه كبح يردعه
من ثمّ بمكر يحاججه
حتى يُسقطه و يُوقعه
إذ ذاك سيتشظى تماما
ما بين سقوط يبغيه
يرجوه و يسعى ليتبعه
وبين كبح يُصليه
بسياط لوم تلسعه
--- تلك القسمة في الذات
أمر المسخ يُريده
إذ تُنشئ في الذات صراعا
بمهارته سوف يُزيده
هو يعلم أن نتيجته
سوف تُنمّيه و تُفيده
--- فالمسخ يعلم عن ثقة
أن مهاوي الذات غريزة
وأن الغنم ستتبعها
وتراها هنية و لذيذة
أما الكبح فستراه
عقبة كأداء و مغيظة
--- فالمسخ أدرى بالذات
هو يعلم دركات الذات
هو يُبصر الكبح كقشرة
تستبطن تلك الدركات
فالعمق كله الدركات
والمطلوب خدش القشرة
كي تنطلق و تُردي الذات
والكبح هناك بمفرده

يواجه تلك الرغبات
والأمر يبدو محسوما
فالذات تهوى إنحطاطات
--- لكن الكبح لن يصمت
وسيحمل على فعل الذات
حتى يُردعها و يُرجعها
وإما بالندم سيُوجعها
والذات ستسعى جاهدة
كي تتخير ما ينفعها
وأيا كانت خياراتها
لن تغدو من المسخ بمنجى

فسلام الأغنام ولى
والروح منها تتشظى
إن رضيت بفعل سقوط
فالكبح هنالك لن يصمت
ستظل منه تتلظى
أما إن رغبت في صعود
ستظل مباذلها تصرخ
في وجه الكبح لتتبدى
فالصاعد منها يتلوى
والهابط منها لن يرضى

وكأن الكبح مِنْحتها
للمسخ ليرديها الأقسى

٤

الأغنام شرعت فورا
لتنفذ خطة أرادتها
الباحة قطعا قسمتها
أقساما وفق خطتها
وكلّ قسم قطعته
مساحات وفق عدتها

كلّ أسرة حظها قطعة
فلترعى كلّ قطعتها
والناتج تعطيه الهيئة
حتى توزّعه بفطنتها
--- أما الهيئة فستتوسع
لتهيمن على الباحة تماما
وسترسل أكباش الحكمة
كي ترسي في الغنم نظاما
ستظلّ تطوف في الباحة
تتلوه لتقرّ سلاما
وتظلّ تكرّر تلاوته
وكأنما تتلوه هياما
لتقرّ كبحا في ذواتهم
ينتصب في الذات إماما :
رفقائي جميعا فانتبهوا
--- لا تنساقوا خلف الرغبة
الفعل على الرغبة ذلّ
يرديكم في مهاو صعبة
المسخ يتمكن منكم
ولأفكاره تكن الغلبة
--- فلتحترموا حق الآخر
فالآخر حرمته تصان
من يقرب منها يتسفل
من كلّ الأغنام يُهان
نوسمه وسما محتقرا
ليلازمه في كلّ مكان
ثم يرفع للهيئة أمره
لينال عقابه بميزان
--- وليذكر جمعكم حقيقة
ساطعة كضياء البدر

أن صون الآخر حقه
يحفظ حقكم على الأثر
--- لا تسرق مالا للآخر
والآخر لن يسرق مالك
إن تضبط بسرقة غيرك
ستعيّر و تسوء أحوالك
ويُرفع أمرك للهيئة
لتنال عقوبة أفعالك
--- لا تشتهي شاة للآخر
والآخر لن يشتهي شاتك
لقحتك لشاتك حصرية
تُرضيك و تُبعد سوءاتك
إن تُضبط مع شاة أخرى
ستؤول إلى الفضح حياتك
ويُرفع أمرك للهيئة
لتنال عقاب إنحطاطاتك
--- لا تكذب لتغش الآخر
أو لتداري سوأة فعلك
لا تلقي تُهمة على الآخر
كي تنجو و يبوء بإثمك
سيرتك في الغنم تسوء
والكلّ يجفل من قربك
--- مهامك في القسم اعملها
ولتنشط دوما في العمل
لا تكسل طلبا للراحة
أو تُقصّر يوما في البذل
من ثم توسم بكسول
بين الأغنام إلى الأجل
--- رغباتك خصم في ذاتك
فالجمها كي لا تغويك

هى عون للمسخ عليك
فاحذرها كي لا تُرديك
--- أكباش الهيئة تعتدل
وليرضيها العدل إطار
وإلا توسم بالظلم
ويُجلّلها دوما عار
تبعد من الهيئة محقورة
فظلمها بئس خيار

المسخ يُفسد كبح الداخل

١

بذلك أغنام الحكمة
ستسعى يحركها الكبح
أملا أن تُحسن سيرتها
ويظلّل عيشتها الصفح
وتُبطل فتنا للمسخ
كالظُلَم يُبطلها الصبح
وبذلك تنجو من خسر
بل دوما يدفعها الرجح
--- أما المسخ فقد ظلّ
بهدوء الواثق يرقبها
هو يُدرك بيقين جازم
ضَعف سماكة قشرتها
قاربها بلطف في البدء
كي تهدأ بالا و تقرّ
فالغنم كانت مرعوبة
والمسخ برؤيتها شرّ
فقتله للكبش هنالك
جعلها منه تفرّ
فالموت برؤيتها يقين
إذ ليس من الموت مفرّ
لكنه حتف أو حادث
هو أمر بفكرتها يقرّ
لكنها لم تعلم أن
القتل للموت مقرّ

-- لذا طوّف بين الأقسام
ليؤكّد للغنم جميعا :

لست بقاتل
ولا أرضى بالقتل صنيعا

لا أبغي غير خيركم
أختاره دربا مقطوعا
لكن الكبش بادرني
بقرن حاد و سريعا
أطاح برأسي معتقدا
أنني سأخر صريعا
--- ما تمّ في الأثر فعال
أنا لست عنها مسؤلا
وكأن وجودي قد ولّى
وصرت وجودا مخبولا
يسعى للنقمة و القتل
فأودى الكبش مقتولا
من ثم أُبت إلى رشدي
حيران الفكر مذهولا
--- كيف يُفصل عنقي و أحيا
بل حتى جسمي ما وقع؟
--- وكيف ينبت رأسان
موضع رأس قد قُطع؟
--- وكيف أقتل و القتل
أراه أمرا قد بشع؟
--- ودليلي أني إذ أبت
لرشدي سريعا أدركت
أن هنالك كبشا آخر
لكني عنه أغضيت
وتركته يمضي بسلام
وبحزن في طريقي مضيت
-- بذاك المسخ يُطمئنهم
فينال منهم مسامعهم
ليصب فيها فتنته
علّه في شباكه يُوقعهم

-- في أحد أقسام الباحة
من كبش لاه يقترب :

فلتُشرق بالبهجة حياتك
ولتُغمر دوما بالحب
ولتنجح دوما خطواتك
ولتبقى دوما في الدرب
أترى قسمتك تُعجبك
كي تتقبلها عن رغب؟
هيأتكم تلك حمقاء
إذ عادلتكم في الكسب
من يعمل يشبه من يكسل
الكلّ سيُعطى على الرحب
فلم تقهر نفسك عملا
ما دمت ستُعطى بلا نصب؟

-- الكبش يجيب على الفور :

هيأتنا ليست حمقاء
بل وضعت خير منظور
كي تبقى الباحة في نماء
والخامل ليس كالناشط
ليست كلّ الأحوال سواء
فالناشط يرقى في الباحة
وينال حظ السعداء
أما في الرزق فقد ساوت
ليظلّ الكلّ في رخاء

-- المسخ يرد في دهاء :

بل حمقاء يدفعها السُخف
ما صاغته محض أماني
والواقع شيء مختلف
مصلحة الفرد تُحركه
أمر لا ينقصه كشف

فالكلّ و قد ضمن الرزق
سيسعى يُحركه العسف
حتى يخدع غيره و يضمن
رقيّا ليس به عنف
--- بمهارة سيوراي كسله
وسيداري الهيأة كمحترف
وإن آل إلى بوار حقله
سيبرّر ذلك بالصدف
وسيسعى ليبرز رفقاءه
أوغادا حُرموا من شرف
يأتون العمل بتكاسل
ويسرقون الآخر بلا خوف
--- سيُداهن سادات الهيئة
كي يحظى منهم بالحظوة
فالكلّ مباح في نظره
حتى يُرضي أهل السطوة
--- من يفعل ذاك سيترقّى
وسيصعد فورا للقمة
--- أما من صدّق أوهامك
سيظلّ مهانا في حقله
بل إن الصاعد كي يصعد
سيطأه و يحقر من شأنه
--- فاتبعني أمحضك نصيحة
لا تلقي بالا لنظامهم
مصلحتك ثم مصلحتك
لا تشغل نفسك بكلامهم

-- الكبش يجاوب من فوره :

احذر يا هذا تغويني
فلدي كبح يحميني
وحيلك صارت مكشوفة

ما عاد بوسعك تُرديني

-- المسخ ضحكه يتعالى

ويُجيب الكبش في ثوان :

الخدعة تعمل يا هذا
إلام تظل كغفلان؟
الكبح وسيلة السادة
كي يمضي العمل بإتقان
وبذلك يعلو ربحهم
ويخضعون الباحة بسلطان
--- كم أغنام الباحة حمقى
ليصدّقوا سادات تخدعهم!
السادة نظموا خطتهم
ليحققوا ربحا ينفعهم
وليحفظوا سلطتهم دوما
والكبح كان وسيلتهم
--- هل حقّا صدّقتم أن
ترقيكم أمر ميسور؟
هيئتكم سوف تماطلكم
وتظلّ تحور و تدور
لتُعقّد أمر ترقّيكم
وتجعله أمرا مقصورا
على قلة نابهة منكم
ويظلّ الأغلب مقهورا
--- هي نفس الخطة البائدة
وكأنما نقلت منها
ستطهّر نفسها من الحمقى
وستبعدهم فورا عنها
وستحرمكم العضو النابه
سترفعه سريعا لمقامها
لتزدادوا شقاء في حقولكم

وتزداد رخاء في نعيمها
--- الكبح ليس سوى خدعة
الكبح يخالف فطرتكم
إذ كيف تُغلّ أيديكم
عما حَصْدته مُكنتكم؟
وكيف تكفيكم شاة
وتقصرون عليها لقحتكم؟
--- فلتتبعوا دوما فطرتكم
ولتأبوا كبحا كالعدم
وإن خفتم بالهيئة صداما
أو خفتم لوما من الغنم
ما كنتم تأتونه جهارا
فأتوه خفاء في الظلم
-- الكبش يسقط في الحيرة
والمسخ يخط في مسيره
كي يتناول كبشا آخر
حتى يُسقطه في أحابيله
-- أما الأكباش فتتخبط
بعضها يعصمه الكبح
والبعض في إغوائه يسقط
فيسرق ملكا لرفيق
أو يلقح شاة لصديق
أو يرمي بريئا بغاوية
أو يُلقي معافا في الضيق
أو يُداهن هيئته ليرقى
وإن أصْلى غيره بحريق
٢
المسخ كما أغوى الكبش
سيعرج كي يغوي الشاة
إذ يأتي شاة في معزل

لا يمنعها عنه تقاة

-- ويخاطبها بلطف بالغ :

عشتي طويلا خير فتاة
إن أحزنني في الباحة أمر
فسيحزنني فعل بغاة
داسوا بقهر ذكرى مجدكِ
ما بين رمال و حصاة
تلك الأكباش بخطتهم
حرموكِ من شرف حياة
وجعلوا وضعكِ منحطا
إذ صرتِ رهنا بطغاة
--- صرتِ عند الكبش عوانا
يملككِ كعشبة متعته
لمسار حياتكِ يختط
في الحقل أنتِ رهينته
لكنه يحرمك رقيكِ
فذاك يخالف رغبته
--- فرقيكِ خرق للشرط
شرط تضمره الأكباش
لينظم أمر رقيهم
هو شرط جائر كالفرط
فالشاة بكل مهارتها
وبرغم حسن سيرتها
قرنوها بوضع منحط
فالترقي حصر للكبش
ولترضى الشاة بالغمط
--- بل أن كبرهم هداهم
لوسيلة تحقر ذكراكم
وطريقتهم بئس طريقة
فالشاة بكامل فخامتها

عدلوها بأملاك الكبش
لا تعلو فتكون شريكة
--- فالكبش ليرقى للهيئة
لا يسرق مالا للآخر
ولا يلقح شاة للآخر
وكأنها للمال شقيقة
فكلاهما محض متاع
يملكه الكبش بسلطته
وتحميه خطة ركيكة
بئس ما يأتيه الكبش
لو جعل الأمر كسوية
والشاة للكبش رفيقة
إن تحفظه فعلها يُحمد
إن يحفظها يُحمد فعله
لأصابوا كبدا لحقيقة
--- لكنهم قصدوا الذلّ
فالكبش يُحمد إن صان
ويُحقر شأنه إن خان
وصيانته و خيانته
لا صلة لهما بالشاة
فالشاة حقيرة و تهان
بل وصلهما بكبش آخر
كعلاقة يضبطها ميزان
--- فكلاهما يصون الآخر
إن حفظ شاة يملكها
والشاة و إن كانت طرفا
لكن خطته تتركها
فالشاة حقيرة و لا تذكر
في خطة الكبش يحبكها
لكنه لن يسامحها

أو يغفر فعلة فعلتها
لكن أمرها متروك
لكبش يملك رقبتها
والأكباش بذلك قصدوا
المحو التام لكرامتها
إذ رفعوها من الخطة تماما
و تركوا الأمر لسيدها
فالخطة محورها الكبش
أما الشاة فتركتها

-- الشاة ثاغت محزونة :

تحسبنا يا هذا حمقى
إذ نقبل ذلّا عن رغبة
ورغم تحدر موقعنا
نظلّ في الحقل نسعى
ونرضى ضيما في اللقحة
ونرفل في القهر كأنه
من عشب متعتنا أشهى
وكأنه بُرأ من علة

--- رؤيتك ليست سوى حمقة
إذ نحن بعلتنا أدرى
ولم نقبلها عن غفلة
فالأمر الواقع أجبرنا
بهوان يحصرنا نرضى
طمعا في تماسك باحتنا
ورضوخا لقانون الأقوى

--- نحن منذ أستقرّرنا
والقوة قانون في نظامنا
وأولات القوة تتحكم
ونحن على الصمت رُغمنا
فتحديهم يعني فناءنا

أو ذلّا أكبر يشملنا
--- القوة قانون كما تعلم
لا ترضى ضعفا يُزاحمها
بل تفرض واقعا على ضعف
يرضاه و يرضخ لشروطها
إذ ذاك تتركه لحاله
ما دام يقبع بجوارها
وإلا تُهلكه صراعا
حتى تُرغمه على مسارها
و كأن الطرفين إتفقا
على خطة ليست محكية
الأقوى يطغى بقوته
والأضعف تعجبه دنية
يحياها في أمان الأقوى
وإلا الهلكة حتمية
--- يا هذا نحن أجبرنا
على تقبل موضعنا
نحن نرضى بوضع أدنى
حتى من الهلكة يعصمنا
ويمنحنا الفرصة كي نعمل
لننمي باحة تُطعمنا
واللقحة و إن دنيت أفضل
من سيد كان يرغمنا
--- كما أن صراع الأكباش
يبدلنا بالعسر يسرا
فبعد أن كنا عوانا
لقحتنا للسيد حصرا
صرنا رفيقات الأكباش
بل رغبتنا صارت شرطا
وفي ظلّ الرغبة و الرفقة

قُسّمت جماعتنا أسرا
--- وبذا قُيّد حق الذكر
في أن يأتي اللقح كما يهوى
كي لا يعدو حق الآخر
ويفتح بابا للشكوى
وبذا تتحسن مكانتنا
وكذا أحوالنا تترقى
والأمل في الغد يأتينا
بما قد يجعلنا نرضى

-- المسخ رد في تخابث :

أراكي ترضين ذُلّا
وتسوقين حججكِ بدهاء
لتبرّري وضعا مختلّا
أوافقك أن الأقوى
لن يرضى عن القوة بدلا
لكن الأضعف يحتال
ليخفف قهرا مشتملا
لا أن يرضخ للذلّ
ويرضى قيدا مكتملا
--- الكبش يبرز قوته
مقابل ضعفكن الظاهر
لكن بوسعكن جميعا
جعله محض متفاخر
حقيقة تفاخره خواء
كدعوى بطلانها سافر
--- هو يزعم أن قوته
تحصر لقحتك عليه
فاعطيها لغيره و إن سرا
تبطلي ما يبني الزعم عليه
وتنالي مزايا نفسية

تُشعرك بالغلبة عليه
--- هو حسب أن قوته
تملكك و تملك رغباتك
و فعلك أبطل دعواه
إذ أكد حوزك رغباتك
كما أن فعلك أخزاه
وأعاد الثقة إلى ذاتك
كما أن سرّية فعلك
لا تتعارض مع مباهاتك
--- فصدامكم ليس الهدف
فقوته تقهرك يقينا
لكن الهدف حمايتك
من هوة تبلعك يقينا
فرضوخك التام لرغبته
يُفقدك هويتك يقينا
تحيين جواره كتابعته
تسحقك رغبته يقينا
أما تمردك و إن سرّا
فيعتقك من قيده يقينا
وتظلّ ذاتك فاعلة
ذا نصر أحسبه مبينا

-- الشاة ثاغت غاضبة :

عن أي نصر تُخبرني
تدعوني لأحيا منحطة
وكلّ الباحة تحقرني
تدعوني أنتكس بفعلي
ولعهد ماض تُرجعني
فأكون لقحة للغنم
وأخون أسرة تُشرّفني
--- يا هذا الأسرة تشريف

للشاة و للكبش كذلك
موقعنا فيه و إن دني
أفضل من منحدر هالك
تدعونا إليه بسحنتك
وتُبرزه كالدرب السالك
لكنه فخ حقيقته
تُرديـنا و تُلزمنا مهالك

-- بهدوء جاوبها المسخ :

عجبا لسيدة الباحة
أدعوها لتحفظ مصالحها
فترميني بخبث و وقاحة
من أغرب تصاريف الزمن
أن تبغي خيرا للآخر
وتجازى شرا و قباحة
--- لا أدعو سيدتي لفعل
أنا أعلم حظها فيه
رغبتكِ فيه محدودة
وهدفكِ ما يفضي إليه
من نسل قد يُنمي الباحة
ويجعلها ترفل في التيه
--- لكنى أدعوكِ لذاتك
كي تحميها
من أرض زلقة أبصرها
قد تُرديها
رضوخكِ للكبش تماما
سيُعنّيها
أما تمردكِ و لو سرّا
فسيُنجيها
--- فأنا لا أدعو للقح
من أجل اللقح و متعته

لكني أبصره تمردا
نجاة الذات بمكنته
فالكبش يحسبك تلينه
وكأنك عشب متعته
إذ عشب متعته يليه
فعناده ليس بمكنته
لكنكِ لست كذلك
فلتخزَي الكبش و فكرته
ولتسخري في داخل ذاتكِ
من فخر الكبش بقوته
--- أنا محض سفير للخير
أبغيكِ سلاما و أمانا
والأمر قراركِ في الواقع
حاشاني أفرض إلزاما
إن رمتي متابعتي فنعما
تحيين حياتكِ بالرغبة
وذاتكِ ستظل إماما
والكبش دعواه ستبطل
لن تعدو دعواه كلاما
فذاتكِ لن تفنى في ذاته
بنجاحها تزدادي هياما
أما إن رمتي مخالفتي
ورضيتي بالذلّ مقاما
وقبلتي بالكبش كسيد
وحفظتي للكبش نظاما
حياتكِ فورا تتبدد
وذاتكِ تختفي تماما
--- الكبش ما اصطنع الأسرة
إلا لحظوته و متعته
فالأسرة لإياه ضمان

تضمن عشبته و لقحته
كما تمنع أكباشا أخرى
أن تقرب ملكه خاصته
فكلّ يحمي أملاكه
ولكلّ كبش أسرته
--- كم أنتى غُرة سيدتي!
إذ تحمين لقاهركِ ملكه
وتصدقين أن قاهرك
سيظلّ ملتزما شرطه
وسيحفظ بيته و يصونكِ
وسيبعد عن الآخر شططه
فقاهركِ لن يعدم حيلة
وسينصب للآخر شركه
تلك طباعه سيدتي
لن يهجرها و يرضى بيته
لتظلّي وحدكِ مخلصة
ظلّ في الأسرة مفلسة
وقاهركِ يتعاظم صيته
٣
المسخ بذكاء يدرك أن الشاة
في بحر حيرة قد وقعت
ما بين صون كرامتها
وبين حيلة قد حُبكت
وصيغت في شكل كرامة
والشاة إليها قد دُفعت
إذ ذلك يتركها سريعا
لشاة أخرى قد رُصدت
ويظلّ يغوي الشياه
حتى تحتار و تتشتت
-- فمنهن من تُفسد سعيه

وتُدرك فحوى فتنته
-- ومنهن من تهوى شراكه
وتتبع منحى غوايته
وهو ما أفضى لأمر
جعله يختال بخسته
-- فالأمر و رغم تخفيه
بعض حالاته قد كشفت
والقوة منطقها صارم
تُرضيها النقمة إن هزمت
لذا فالكبش المخدوع
لن يقبل بالذلّ و يصمت
--- فسيشكو غريمه للهيئة
حتى تعاقبه و تحقره
في كل الباحة تُشهّره
من أي ترق تحرمه
--- أما الشاة الخائنة
فصار مصيرها محتوما
فكبشها بحنق و بغضب
سينطلق نحوها محموما
وبقرن حاد كالشفرة
سيُرديها موتا مشؤوما
وبذاك القتل في الباحة
قد صار أمرا معلوما
--- هو أمر طرأ على الباحة
ليس للباحة به عهد
في السابق لم يحدث أبدا
برغم صراع و تحد
فالموت حتف أو حادث
ليس للقتل به يد
حتى قتلُ المسخ الكبش

ظنّته الأغنام تعد
من فرد ليس يشبههم
يبعد عنهم كل البعد
لذا فشو القتل بينهم
سيراه المسخ كالسعد
من جهة يُبطل تمايزهم
ومن جهة يدعمه بيد
بها سيؤجج صراعاتهم
حين يحين أوان الجدّ

٤

المسخ و قد أغوى الغنم
سيتوجه للهيئة بهمه
فسيأتيها كبشا كبشا
ليذيق الكلّ من سمه

-- من كبش منهم يقترب و يبادره :

سيد أكباش الباحة عشت سعيدا
أترى تخطيطكم للباحة
كان رشيدا؟
أتراه راعى مصالحكم
جاء جديدا؟
تخطيطكم محض هراء
جاء بليدا
وسيودي بكلّ مصالحكم
ليس بعيدا
--- إلا لو كنتم كدهاة
خدعتم كلّ الأغنام
أضمرتم صون مصالحكم
وتركتوهم مثل نيام
وما صغتوه من خطة
محض كلام في كلام

-- الكبش ثاغ على الفور :

ليس في الأمر خديعة
بل كلّ الخطة حقيقة
باحتنا توشك تتشظى
وما عاد بمكنتنا طريقة
غير توحّدنا و تنظيمنا
كي نخزي فتنة محيقة
--- فتنتنك ياهذا حريق
يسري في الباحة يُشعلها
لا ندري كيف نتركك
لتسعى حتى تُدمرها
لكنك يا هذا ساحر
تعرف أنفسنا و أسرارها
لذا فالنفس تتبعك
تهوي إلى حتف بخيارها
لذلك آثرنا الحكمة
كي ننزع من الفتنة نارها

-- بأسى المسخ يجيب :

حقا كم أني مسكين
إذ أسعى لمصلحة الكلّ
والكلّ يراني كمهين
ما تُبصره فتنة برأيك
هو نُصح هادئ و رزين
--- تشظي الباحة مرجعه
ليست فتنتي في الواقع
لكن مرجعه إصراركم
على فكر يتحدى الواقع
الواقع كالصخرة صلب
من يصدمه كسره واقع
الواقع ماء ينسكب

وليس هنالك من دافع
والواقع يخبركم أن
المصلحة قانون الواقع
--- أترى الأغنام في الباحة
يعجبها عمل الأقسام؟
أتراها ترضى بنصيبها
وتعمل فيه بسلام؟
أترى الأشياه بحطتها
سترضى مَرّ الأيام؟
أترى رفقاءك في الهيئة
يقرون ترقى الأغنام؟
أي من ذلك لن يحدث
بل كلّ ذلك أوهام
إن حدث حينا من دهر
فتغيره يقين تام
فالمصلحة تأبى ذلك
والمصلحة بنت نظام
المصلحة دروب شتى
يُبرزها مَرّ الأيام
--- منها الجشع و فحواه
من يضمن شيئا في ملكه
سيسعى يقينا إلى غيره
وإن كان في حوزة آخر
لن يفتر لحظة عن سعيه
لن يعنيه عناء الآخر
حتى يتمكّن من سلبه
--- ومنها الكسل و فحواه
لا تتعب نفسك في عمل
ما دام غيرك يفعله
بل غش و راوغ بالأمل

حتى ترتاح و تُتعبه
--- ومنها الحرص و فحواه
إن حُزت على السلطة يوما
أو حتى على جزء منها
فاحفظها و صنها إلى الأبد
ولتبعد أقرانك عنها
في سبيلها الكلّ مباح
كذب
غش
قتل
سرقه
فالهام هو زودك عنها
--- وهنالك أقسام أخرى
علاقات الواقع تُظهرها
كدروب شتى وجهتها
الذات كدرب يحصرها
--- الأغنام في الأقسام
لن يحيوا طويلا في سلام
فسيسعى الكلّ لمصلحته
وسيرحل صفو الأيام
الكلّ سيطمع في ترقي
كي يصبح بين الحكام
لن يلتزم درب الشرف
وسيتركه مثل ركام
--- والشاة لن ترضى طويلا
بحياة الذلّ في الأسرة
وستسعى كي تجد سبيلا
يرحمها من تلك الشِقوة
ولضعفها لن تجد سبيلا
غير التفريط في اللقحة

وهو ما سيفتح بابا
بين الأغنام للصرعة
--- ورفاقك في الهيئة أيضا
لن يرضوا رقيّ الأغنام
وسيبتكروا ألف سبيل
للمطل و غش الأغنام
وهو ما سيفضى لصراع
بين السوقة و الحكام
وبذلك خطتكم تفشل
فالباحة جميعا في صدام

-- الكبش ثاغ في رعدة :

كم أنت يا هذا لعين
تستشرف أسرار الغيب
وكأنك بالغيب رهين
وتُبرّئ نفسك و كأنك
للنصح محب و أمين
لا تذكر أبدا فتنتك
وأثرها في هذا التخمين
--- الغيب حجاب يا هذا
ولرفعه يعجزك سبيل
دعوتك كشفه كاذبة
لا تعدو كونها تحليل
محوره فتنتك و سعيك
كي نتبعك دون دليل
--- تدعي دوما أنك ناصح
وراعي لمصلحة الكلّ
وبذا يتجذر تأثيرك
في دروبك يحتار الكلّ
القلة وعيها يُنجيها
والكثرة تتبعك بذلّ

بمهارة تختط صداما
ما بين الفرد و الكلّ
والفرد سيتبع مصلحته
وسيهجر مصلحة الكلّ
لذلك تأتينا فرادى
تتجنب مواجهة الكلّ
تتعمد صرفنا عن فكرة
قد تحفظ مصلحة الكلّ
فالفرد بوسعه أن يحمي
مصلحته في إطار الكلّ
فالمصلحة بنت توازن
قد يشمل في إطاره الكلّ

-- المسخ تعالت ضحكاته :

أفكارك يا هذا هراء
هي محض آمال تنسجها
تحسبها علاجا للداء
هي حسن نوايا يواجهها
واقع كالصخرة صماء
فشلكم سره يا هذا
تبنيكم فكرة حمقاء
تبغون فرضها على الواقع
والواقع منها براء
فالواقع ليس بغرّ
تخدعه النوايا الحسناء

--- الواقع صارم يا هذا
غير المصلحة لا يدري
في أكثر أشكالها تطرف
في دربها دوما يجري
وتوازنها الذي تزعمه
لن يقبله إلا بقهر

--- الفرد إن كان بوسعه
سوق الكلّ في ركابه
ما قصّر لحظة في ذلك
وكذلك إن كان بوسعه
لقح كلّ الأشياه
من دون رادع يردعه
سيحرص على فعل ذلك
--- لكن الواقع يواجهه
بمصالح أخرى تردعه
فإما يمتد صراع
سيُردي الكل بمصرعه
وإما يرضخ لتوازن
لإطار القوة مرجعه
لا ظلّ هنالك لنوايا
أو أمل يرجو تصنّعه
و توازنهم هذا صموده
تخفضه المصلحة و ترفعه
إذ من يشعر فيه بغبن
سيسعى حتى يدفعه
تدفعه في ذلك مصلحته
لا كبح هنالك يمنعه
إذ أنى لكبح أن يصمد
في وجه مصالح تصرعه
فالكبح هزيل ليواجه
رغبات الفرد و مطامعه
--- يا هذا الآتي أبصره
لن يحجبه عني خداع
توازنكم هذا سيولّي
ويسود الأغنام صراع
يدفعكم لتوازن آخر

من ثمّ سيختّل كذلك
وبذاك الأغنام ستعلق
في دورة تُرديها مزالق
حتى يدرك كبش فطن
حقيقة ما يجري هنالك
فالمصلحة باب رحب
يفضي حتما لمهالك
لن يغلق بابها سوى قوة
تردعها و تُلزمها مغالق
--- إذ ذاك الكبش بدهاء
سيشكّل قوة في الباحة
وسيغدو بعض رفقائه
بطانة تليه في الباحة
وعبر توحد قوتهم
سيتم إخضاع الباحة
وبذلك تعلو مصالحهم
فوق مصالح كلّ الباحة
وبدهاء صحبته مهارة
ينشرون فكرتهم في الباحة
حتى يتبعهم أفراد
يصبحون جندهم في الباحة
إذ ذاك يكون بوسعهم
حسم الصراعات في الباحة
وسيصبح إذاك الفطن
سيدا مطلقا على الباحة
رغبته فيها كأوامر
ستلبّيها كلّ الباحة
--- هذا ليس رجما بالغيب
بل درب واضح أبصره
درب تنتجه المصلحة

والباحة جميعا تعبره
لمآل يبدو محتوما
صراعات الكلّ تُحضّره
فاتبعني الآن و كن فطنا
لتنال الخير و تحصره

-- الكبش بتحفز ثاغ :

كم أنت مخادع كذاب
تسعى حثيثا كي تقنعنا
أن ليس هنالك سوى باب
باب ينحدر إلى الأسفل
نعبره جميعا أسراب
وتسمي ذلك مصلحة
مصلحتك تغدو كسراب
يشرذم وحدة تجمعنا
والباحة تفضي ليباب

--- بمكر كامل تتحاشى

بابا آخر للمصلحة
بابا للأعلى مصعده
يريح الذات المتعبة
فيريها أن المصلحة
ليست سوى درب تصعده
وجهته مصلحة الباحة
والغنم جميعا تتبعه

يا هذا المصلحة الحقة
لا تُختم أبدا بالندم
مصلحة تفضي للخير
مصلحة تخلو من ألم
مصلحة تَرقى بالذات
مصلحة تأتي بالسلم

لكنك تكذب بعناد

كي تطمس هاتيك الباب
وتكرّر في قول معاد
أن ليس هنالك سوى باب
للدرك الأسفل يأخذنا
مهما أخذنا بالأسباب
--- لكن ذواتنا تخبرنا أنك كاذب
إذ من أين يأتينا شعور بالندم؟
ولماذا نسعى لننسجم
ونتوق لأفضل النظم؟
وكيف لبعضنا أن ينجو
ويواجه فتنك بالحِكم؟

-- المسخ يبالغ في ضحكه :

يا هذا أنت موهوم
إذ ليس هنالك في ذاتك
سوى درب واحد محتوم
درب تحصره المصلحة
والخطو فيه مرسوم
--- الباب الآخر في زعمك
ليس سوى ضعف من وهمك
ليس سوى حيلة من حيلك
هو حركة بخلاف الواقع
فالواقع أقوى من ضعفك
--- المصلحة تتعدد طرقا
والباحة تتشعب فرقا
ما يُفضي حتما لصدام
وبقاء الذات كمصلحة
لا يعلو عليه مصلحة
لا يدانيه أي مرام
لذا إن أفضى صدامكم
لما يتهدد وجودكم

فسيسعى الكلّ لوئام
إذ ذاك تجتمع الصفوة
كي تجد حلا للعقدة
والباحة تُحكم بنظام
وبرغم أنه لن يصمد
لصراع المصلحة السرمد
إلا أنه يُفضي لأوهام
--- فالبعض يحسبه صعودا
ويراه طريقا مرصودا
كي يهدي الذات إلى سلام
من ثمّ بمكر و مهارة
يقرنه بمكنون الذات
ويراه سبيلا مشروعا
يمتد عميقا في الذات
يحسبه قرين المصلحة
بينهما تختار الذات
يتناسى تماما خدعته
ويضيفه بثقة للذات
--- هذا البنيان سيتنامى
رغم تأسيسه على الوهم
مع كل عقدة يُنتجها
صراع صارم كالحتم
غير أنه قشرة رقيقة
تكسحها المصلحة بحسم
والبعض منكم يتبعه
يحسبه نجاة عن وهم
أولاء ضحايا المصلحة
لن ينجوا يوما من همّ
وقانون المصلحة سينفذ
لابد لدربها من تمّ

لذلك صدقا أنصحك
كن فطنا و اسبق رفقاءك
كي تحظى دوما بالغُنم

مستبدان

١

المسخ و قد أيقن أنه
أثار الكبش و حيّره
يتركه و يسعى إلى غيره
علّه بالفتن يغيّره
ويظلّ يسعى بينهم
ليس من عائق يحصره
-- أما الأكباش فبعضهم
سيعتصم بوعيه من الفتن
وبرغم الوعد البراق
لن يشرب من ماء أسن
لكن البعض سيزلّ
لن يردعه هول المحن
فالوعد سيطيح بلبه
ما عاد بكبش متزن
-- بذلك في سماء الباحة
ستتراقص شتى الأهوال
فسعي المسخ في الباحة
قد بدل منها الأحوال
في كلّ أقسام الباحة
تنتشر سجايا الأنذال
كذب
غش
كسل
سرقة
غدر
خيانة يتبعها قتل
لؤم
حرص

تهاون يتبعه فشل
--- ما أنجح سعي أكباش
تسعى كي يتبعها الكلّ
والباحة قسّمت بينهم
من ثمّ و ابتدأ القتل
--- كلّ منهم جمّع جنده
وانطلق ليردي الأغيار
من يُهزم فالذلّ مصيره
وليرضى دوما بصغار
والفائز و برغم الفخر
لن يهنأ ساعة بفخار
فهناك طريق ليتمه
وهناك معارك ستدار
-- حتى آل الأمر لكبش
حنكته فاقت قوته
وتمكّن من سحق خصومه
على الباحة فُرضت سلطته
وعبر رفاقه و جنوده
إنصاع الكلّ لسطوته
--- وبحنكته وضع الكبش
للباحة نظاما تتبعه
نظاما يجعلها جميعا
ككيان واحد يتبعه
فالباحة تسعى إلى هدف
وإليه وحده مرجعه
وبذلك أقصى الصراعات
وابتلع الكلّ مطامعه
نظام حنكته تُثني
من يسعى حتى يوقعه
-- فالكبش هنالك في القمة

تتبعه هيئة مختارة
هيئة تمحضه الإخلاص
وتدير الباحة بمهارة
يتبعهم جند فتيان
لا تنقصهم أي جسارة
من يسعى حتى يواجههم
سيبوء حتما بخسارة
-- والكبش كان من الحنكة
حتى لا يخدعه ذلك
فالأمر ليس للقوة
لابد من الحكمة كذلك
لابد من حل يرضي
فتيان الأكباش هنالك
حتى لا تتصاعد ثورتهم
ويُفضي الأمر لمهالك
ولابد لرعاع الباحة
من ترضية تشبه ذلك
-- لذا بمهارة سيتخذ
من أكباش الباحة عونا
هيئته عبرهم تدير
الباحة كي ترقى دوما
وحتى لا يأبق أحدهم
سيرسل من قبله جندا
كعيون ترقب حركاتهم
وتوافيه بندا بندا
-- أما في أقسام الباحة
حيث رعاعها
فالكبش يرجو جهدهم
فيما يصلحها
وسيمنحها حسن جزاء

كي يُقنعها
--- فكلّ عطاء الأقسام
سيُرفع رأسا للكبش
وعبر الهيئة يوزعه
والكبش كان من الحكمة
حتى يُعطي كلّا منهم
ما يتناسب مع موضعه
كما كان من الحنكة كذلك
كي يُغضي طرفه بمهارة
عما يأتيه البعض و يصنعه
--- فرعاع الباحة لن يعطوا
كلّ ما تنتجه الأقسام
وسيُبقون جزءا مخفيا
عن كلّ جند الحكام
والجند كذلك سيغشون
من جنى الباحة سيلصون
وكذلك أكباش الهيئة
فالكلّ بطريقته يخون
--- أما الكبش فكان حكيما
وذلك كلّه يُدركه
لكنه يُدرك أيضا
أن الفرد نفسه تُحركه
وأن النفس ترغب ذلك
وتراه طريقا تسلكه
وأن عناده إياها
سيُشعل نارا تُحرقه
إذ يفتح بابا لتمرد
المسخ سريعا يطرقه
أما حُسن تغاضيه
فقيد للمسخ يعلّقه

أما الأغنام فسترضى
وباب الفتنة يُغلقه
--- لكنه كان من الحسم بحيث يفرق
ما بين تهاون و تغاضي
فالعمل يحكمه نظام
تتبعه الباحة بتراضي
من شذّ و ضبط سيعاقب
من قبل كبش كالقاضي
وبذاك الانتاج يزيد
ويكفي الطامع و الراضي
وما يصعد منه للكبش بعد اللَّص
يكفيه و يدعم منظومته
--- و بذلك تنجح خطته
عبر الإغضاء المتبادل
فالكلّ يغض بطريقته
منْ لصّ يُبدي و كأن
عطاء الكبش طعمته
وما يبدو عليه من خير
يزعم للكبش نسبته
والكبش يُبدي و كأن
كلّ جنى الباحة حوزته
فكلّ سعي الأغنام
عنده تحويه خزانته
غض و نظام و صرامة
تُنجح للكبش فكرته
--- لذاك سيتبعها الكبش
حتى في علاقات الغنم
فسيُعلن بينهم نظاما
يرونه كطريق السلم
--- للآخر حق فاحفظه

واللقح الأسرة موضعه
من خالف ذلك فعقابه
لسيد الباحة مرجعه
فيُشكّل هيئة من قِبله
تفصل فى الأمر و ترفعه
إليه ليتخذ قرارا
والكلّ هنالك يتبعه
--- بذلك صار ممنوعا
أن يقتص الفرد لنفسه
وإلا تعرض لعقوبة
يجلبها بحمق على نفسه
--- والكبش كان من الحسم
في فرض عقوبة على مخالف
وكان من الغض كذلك
ليترك بابا لمخالف
مرّ بفعلته و لم يُضبط
ولم يُشهر أمره كمخالف
أو حتى ضُبط و تمكّن
من تسوية أمره كمخالف
شرط ألا يفشو الأمر
ويُهدد صالحا بالتالف
--- فالكبش كان من الحكمة حتى يُدرك
أن النفس تهوى الحِطة
وأن البعض سيعصمه كبح
والبعض سيتبعها رغبة
وأنه إن بالغ في الكبح
فسيفتح بابا للثورة
--- بذلك الكبش جعل
سعي المسخ بلا جدوى
فالباحة رغم فتنته

ستظلّ دوما تترقى
فنظام الكبش مع الحسم
يجعل إنتاج الباحة يطغى
كما أن الغض الحسن
يُريح النفس كما تهوى
إذ يفتح بابا للحِطة
في إطار تحكمه التقوى
فيبقى المجتمع سليما
رغم ما يستبطنه و يخفى
--- ما منح الباحة بحبوحة
مرّت كالحلم
عصر من الوفرة عاشته
بخلاف السلم
والمسخ ضعفت فتنته
باء بالندم
--- لم ينس أن ما تم
كان فكرته
هو من سعى بين الغنم
حتى اتبعته
قد كان يسعى لخلاف
تعظم قِتلته
والأكباش في شركه سقطوا
نجحت خطته
--- كان يدرك أن صراعهم
سيفضي حتما لنظام
يتسيده كبش واحد
سيُحيل خصومه لحطام
لكنه كان يُقدّر
أنه يفتح بابا لخصام
إذ من يرضى بعيشه ذلّ

والحِطة كتابع لإمام
لم يخطر في باله لحظة
أن يُفضي ذلك لوئام
--- والأنكى أن الكبش
أحكم موضع خطواته
ونمّق خطته حتى
يُفشله و يُبطل سوءاته
حيث بمهارته وازن
ما بين غض و صرامة
فأضعف من أدواته
--- فصرامته ضمنت أنتاجا يتكدس
وحُسن غضه منح الأغنام المتنفس
ولسعي المسخ قد أركس
--- فالكبش بفطنته أذكى
من أن يقصده بتغرير
وتحقّق أكباش الهيئة
يجلّلها بحسن التدبير
وتحرّر أغنام الباحة
يجعلها على الدرب تسير
٢
المسخ بداخله أيقن
أنه قد خسر معركته
لكن ما جعله يتماسك
ثقته بتجدد فرصته
فالباحة تسكن على جمر
سيجيء أوان شعلته
فالباحة جميعا يملؤها
كلّ عناصر فتنته
والأمر زمان لا أكثر
ليغور الكبش و حنكته

والأمر يتطلب سعيا
المسخ يُحسن حبكته
فحتى يُسقط الكبش
فليفتن خاصة هيأته
فليسعى بينهم حتى
يتبع أحدهم خطته
-- فسيأتيهم و يمنيهم
بالسلطة و حسن تأثيرها
وسيخبرهم أن السيد
ينفرد بالباحة يُديرها
وبذا تتعاظم مكانته
ويحوذ السلطة بحذافيرها
أما سلطتكم فيا أسف
لن يتوقف تحقيرها
-- لن يثنيه منهم إعراض
لن يرجعه كثرة فشل
سيظلّ ناديهم يرتاد
يُمني النفس بالأمل
--- حتى ظفر ببعض مراد
كبش أقرن كلّه عضل
أقنعه أخيرا بالكاد
وشرعا سويا في العمل
بل إن الكبش قد زاد
وجعل سعده يكتمل
--- إذ أخبره أنه ليس وحيدا
فهناك فريق يتبعه
كلّهم يطمح للسلطة
وما يجري لا يقنعه
فالسلطة برؤيتهم قوة
تذلّ الفرد و تخضعه

لا ترضى عن الحسم بديلا
وترى إظهار الغض يُضيّعه
لذا تسعى كي تُزيح الكبش
وتُحلّ نظامها موضعه

-- المسخ على الفور أجاب :

لا يكفي للكبش إزاحة
فجنوده حوله ستلتلف
وسيجوبون كلّ الباحة
ليؤلبوا معهم غيرهم
ولن يرضوا للكبش إطاحة
فالرأي عندي تقتله
وبذاك جنوده تضطرب
وبسرعة تضرب بجنودك
قبل أن يدروا و يحتربوا
فتُحكم قبضتك عليهم
وتدفعهم دفعا لينسحبوا
بذا تصبح وحدك في الباحة
أمر واقع
طاعتك على الباحة تجبُ

-- الكبش أحكم خطته

في السر جمّع شيعته
بثّهم في أرجاء الباحة
والكلّ رهن إشارته
من ثمّ كمن للسيد
حتى يضرب ضربته
لم يتردد ثمّة لحظة
حين واتته فرصته
فأطاح برأسه و سريعا
نشر في الباحة كذبته
أن السيد قتل في حادث

صخرة هاوية صدمته
وأنه نصّب نفسه
كي تحمي الباحة حكمته
إذ ذاك جنده إنطلقوا
فتلك كانت إشارته
وبذاك بحمق قد منح
المسخ كامل فرصته
-- فالكبش بحمق قد حسب
أن بوسعه سوق الباحة
كي تمضى وفق وجهته
لم يدرك أن الأغنام
ذوات فردة تُحركها
مصالح تأبى فكرته
وأن وضع مصلحته
في وجه مصالحها غباء
فالحكمة تقتضي تمرير
مصلحته عبر مصالحها
بهدوء و بدون شقاء
-- فسلفه ليس عن حمق
كان يغض
لكنه رفض بحمق
وأصر على حكم الفرض
بل نحت مواضع في الصخر
ليسجن فيها المعترض
ونشر جنوده كعيون
على الباحة هيئة و رعاع
ليثق أن الكلّ يطيعه
وأنه لأمره ينصاع
وأن كلّ الإنتاج
يصله دون ضياع

ليوزعه وفق هواه
لا تثنيه أي مساع
وبذلك فتح للمسخ
أبواب الفتنة كمشاع
كي يدلف من أيها شاء
فالكلّ لديه مطواع
-- فرعاع الباحة سيلصون
حتى تتزايد حصتهم
وسيمكرون أيضا و يغشون
رجيا أن ينجوا بفعلتهم
والكسل بينهم سيفشو
بُخلا أن يستهلكوا قوتهم
في عمل عائده حُرموا
فالناتج كلّه لسادتهم
-- وسيكثر بينهم مرائي
منافق كاذب فتان
فالباحة و قد صارت سجنا
فالمصلحة قرب السجان
فليسلم رفقاءه إليه
كي يضمن عيشا بأمان
فإن حظى برضاء السيد
فالخطب جميعا قد هان
-- وسيفشو كذاك المستهتر
الضارب صفحا بالقيم
الآتي محاذر سيده
شكلا من أشكال النقم
ما دام السيد يسرقهم
فبأي حق يُحترم
-- أما المسخ فيا لهنائه
من مثله يحظى بالغُنم

فالباحة تسعى لإرضائه
وتشظيها يبدو كحتم
وكأنما تسعى لحتف
من دون شعور بالندم
في ذلك يستوي رعاع
مع سادة تسكن في القمم
-- حتى اقتصر دور المسخ
على تعزيز خطاياهم
ما عاد يسعى ليقنعهم
بأمور تفسد مسعاهم
بل هم برضاهم ينحدرون
يا سعد المسخ برضاهم
-- فسجايا الأغنام جميعا بلغت دركا
لم يخطر للمسخ كفكرة
فالسيد يحكم بالحمق
وجنوده يعجبها القسوة
بينهم تنتشر السرقة
وكباش فقدت مكانتها
تتحرق شوقا للسلطة
فتكيد السيد و جنوده
ترجوهم فشلا مع حِطة
ورعاع تنحدر تمردا
في وجه القسوة و السطوة
-- أما من نادى بتغيير
فيقاسي الحبس مع الظلمة
في جوف الصخر مواضعهم
فهنالك أكباش اللعنة
وهنالك أكباش الحكمة
لم يترك منهم في الخارج
إلا متعلق بالتقية

يستبطن رفضا يُخفيه
ويُظهر طاعة للسلطة

الثورة

١

المسخ مع فرحه قلق
فالباحة تُنذر بجديد
فإناؤها قد فاض شرّا
ما عاد موضعا لمزيد
والوضع قد آل لعقدة
والباحة تُنذر بوليد
فإما تُفضي لتشرذم
وتتهشم كلها كثريد
وإما تُفضي للثورة
كي تنجو من حكم بليد
وتُعدّ نفسها لتغيّر
يراقصها كحلم سعيد
-- المسخ يرجو تماسكهم رغم شروره
فبقاؤهم يُفضي حتما لبقائه
لذلك يخشى تشرذمهم
فتشرذمهم هو محض سبيل لفنائه
غير أن تاريخه في الباحة
يجعله يرفق في عنائه
فالغنم ستحلّ العقدة
حلّا يُفضي لإرضائه
رغم صدق توهمهم
أنهم يسعون لإقصائه
لكنه لا يعلم كيف
فالأمر حُكِمَ بإخفائه
في جوف غيب يحجبه
ويضن عليه بإبدائه
-- حتى كان يوم الثورة
يوما عاديا يمضي وئيدا

العمل يسير في الباحة
لا يُبدي في مسيره جديدا
وجنود السيد تنتشر
كلّ منهم يبدو سعيدا
ورعاع الباحة في عمل
يبدو بطيئا و بليدا
-- كبش عامل أخفى شيئا
جندي لمحه فصاح وعيدا
لكن الكبش تحدّاه
فانطلق الجندي تهديدا
-- فتجمع رفقاء الكبش
وتوافد رفقاء الجندي
وكأنما قد قُدح الزند
فباقي أغنام القسم
أحاطوا فورا بالجند
الكلّ ذكورا و إناثا
لا ينقصهم أي تحدّ
وانتشر الخبر في الباحة
والكلّ تأهب للرد
كلّ قسم فتك بجنده
حالتهم آلت للضد
ثم فورا صوب السيد
ليجلل بالعار الأبدي
فأزاحوه شر إزاحة
وساقوه لحبس في الجمد
وفكوا أسر ضحاياه
ما عاد هنالك من قيد
ثم عقدوا جمعا ضخما
لينظروا في أمر الغد
-- كبش من أكباش اللعنة

استبق الكلّ متصايحا :

إخواني إني أحذركم
باحتكم باحة ملعونة
وسوف أظلّ أذكركم
خططكم غير مأمونة
كلما دبرتم خطة
أفضت لخطايا مكنونة
لا أرمي أيكم بجهل
أو أرمي الحكمة برعونة
بل أثني على فطنتكم
لكن مقاصدكم مرهونة
بلعنة ستظل تطاردكم
كقرون كباش مسنونة
--- يعجبكم قرّ في الباحة
يعجبكم رزق غلاب
يعجبكم عشب مضمون
يعجبكم مقام مرحاب
عشبة متعتكم تفتنكم
تخزنون منها أسرابا
لكنكم فقدتم سعادتكم
وأحلتم إياها سرابا
ودرجتم في درب الحِطة
تستزيدون همّا و عذَابا
--- أعلم أن الأمر تعقّد
ماضيكم ليس مردودا
عصر التجوال الذهبي
قد صار عصرا مفقودا
فالنفس إذ قرّت ضلّت
ومقرّها تحسبه ودودا
وتركن فيه على الرحب

وتراه هناء موعودا
وكلما جابهها بفشل
ستظلّ ترقاه صعودا
لا تدري أنها تترقى
هاوية و القاع بعيدا

-- كبش من أكباش الحكمة ثاغ :

بل باحتنا باحة ميمونة
بالخير دوما مرهونة
مهما في خطاها تتعثر
نهضتها نهضة مضمونة
وتعثرها أمر لازم
لا يُوسمها بأي رعونة
ما دامت دربها تجهله
فخطاها ليست مأمونة
لكنها تهجم و لا تجبن
لتُميط لثام المجهول
وتُحقق رؤية مظنونة
لكن الآتي يفجؤها
بدروب ليست تعرفها
تُسقطها في حيرة مجنونة
لكنها و لفطنتها
تمتص دوما صدمتها
وتُعدّل وضعها بليونة
وتاريخ الباحة يدعمني
فالباحة دوما في صعود
منذ أن صارت مسكونة

--- فبفطنتنا أقصينا عصر شِقوتنا
وكشفنا أسرار العشب
فصار مكدّسا في باحتنا
وعشب متعتنا النادر

قد صار وفيرا في حياتنا
وبفطنتنا أدركنا أن تعاوننا
أفضل من مفرط قوتنا
فأقصينا القوة كنظام
وصغنا هنالك خطتنا
وبفطنتنا أدركنا نقص خطتنا
فأزحناها و وضعنا أخرى أظلّتنا
وبرغم مسعى للمسخ
كي يسرق منا إرادتنا
أفشلنا مسعاه و كيده
بعهد أشرق بباحتنا
لكنه و بخبث بالغ
أدرك موضع هِنتنا
فسعى بيننا حتى ظفر
بكباش حمقى خانتنا
ثم فرضوا على الباحة قهرا
أجهدنا و شتت كلمتنا
ولولا فطنتنا المعهودة
لأطاح القهر بجماعتنا
لكننا واجهناه
بأعز و أغلى ابتكارتنا
إذ لا شيء هنالك أغلى
من وحدتنا و ثورتنا
-- فالثورة مرآة حقيقة
تفتضح خبايا الجماعات
الثورة فعل عفوي
لكن مفعم بالدلالات
عفويتها خير دليل
عما ترسل من إشارات
فالفعل العفوي دوما

ينبئ عن مكنون الذات
والذات المحقورة الرخوة
ليست أهلا للثورات
أما الذات الصلبة الفطنة
فلن تقبل دوما إهانات
وستسعى كي تجد سبيلا
ينقذها من إذلالات
-- نحن بثورتنا أثبتنا
أننا لا يُخشى علينا
وأننا سنجد طريقا
وسننجو مهما قاسينا
فالثورة حل المجموع
حين يعز الحل علينا
ليزيح الظلم و القهر
ويأتي بالسلم إلينا
-- في السابق كانت هيئتنا
تمسك بزمام الباحة
إذ كلما جدّ جديد
تعالجه بفكر و رجاحة
والكلّ كان يتبعها
أملا أن تمنحه الراحة
إذ ذاك كان تصوّرنا
أن رعاع الباحة توابع
لا يُنتظر منهم فعل
بل طاعة و عمل متتابع
لم يرد أبدا في خاطرنا
أنهم كالضوء الساطع
--- هذا رغم وجود أدلة
على فطنتهم
كم أظهروا طاعة للخطة

مع ذلك صانوا مصالحهم
يا حنكتهم!
لكننا لم نكشف أبدا
عن قدرتهم
حتى جاء عهد الذلّ
وحسبناه طال الكلّ
حتى غلب اليأس علينا
وحرنا جميعا في الحلّ
انفجرت في الباحة الثورة
غمرتنا جميعا بالأمل
إذ ذاك جميعا أدركنا
كم ران علينا من جهل
--- فرعاع الباحة للباحة
مدخر حماية و أمان
كم أخطأنا إذ خلناهم
في الباحة مجرد قطعان
همهم اللقحة و العشب
لا يرجى منهم إحسان!
وأنه لولا الخطة و حسن رقابة
لباءت الباحة بخسران
فإذا بهم منبع حكمة
أبدا لم ترد بحسبان
من كانت باحته كذلك
لا يخشى عليها الخذلان
-- كبش اللعنة ثاغ مجيبا :
لن أنكر عظمة ثورتنا
لن أنكر أيضا فِطنتنا
لكن ما تُبصره صعودا
أبصره عمق غفلتنا
فالغفلة لا تنفي الفِطنة

--- الفِطنة سعي في الواقع
والغفلةَ من خلف الواقع
بالفِطنة نجح استقرارنا
وبالفِطنة أكملنا مسارنا
لكن كان الثمن عظيما
الثمن كان سعادتنا
أهنالك أغفل من أن
نشقى جميعا بإرادتنا؟
--- الفِطنة لا تعني الحكمة
الفِطنة رغبة من الذات
في فرض رؤاها على واقع
يمضي قُدما بثبات
لذلك تحظى بلعنته
لن يمنحها غير شتات
لكنها و بكبر بالغ
تخوض غمار الصعوبات
رجيا أن تُخضع واقعها
وتُحقق صافي الرغبات
لذلك يُبادرها بقسوة
تُصليها جحيما بآهات
وسيبقى الأمر ممدودا
والخاسر ليس سوى الذات
التي تُعاند واقعها
فيُبادرها بإساءات
--- لكن الحكمة تقدير
من ذات تبغي سعادتها
فتُهادن واقعا غلابا
وتفوز منه بوحدتها
لا تتشظى خلف الرغبة
أو تهوي خلف دناءتها

--- والذات ساحة مقسومة
بين الفِطنة و الحكمة
كلما آثرنا الفِطنة
قلّصنا مساحات الحكمة
كلما أوغلنا في الفِطنة
إزددنا بعدا عن حكمة
لذا نحن في الواقع نهبط
لكن من منظور الحكمة
-- طريقان في عمق الذات
والذات تتخير أحدهما
واهم بل مفرط في الوهم
من ظن جمعا بينهما
--- بأحدهما الفِطنة و رفقتها
عشب في الأقسام كثير
عشب المتعة كذاك وفير
واستقرار يضمن راحة
من ترحال خلف مسير
وذوات هشة تتشظى
خلف الرغبة دون مجير
--- بالأخرى الحكمة و رفقتها
عشب متناثر في الساحة
وحياة تخلو من راحة
وذوات حرة راضية
تتقبل وضعها بسماحة
لا تتشظى خلف الرغبة
أو تتشبث خلف وقاحة
--- والحكمة عندي لو وُزِنت
بالفِطنة و بكل طريقها
فستَرجحها أي رجاحة
-- بهدوء كبش الحكمة ثاغ :

حلّك ياهذا فردي
والباحة كيان جماعي
حلّك يعني ضياع الباحة
يُفضي لدمار أبدي
إن تبعك بعض الأغنام
فالأكثر عنك مزوي
--- لكننا لسنا نصادرك
بل نلفتك
أن الباحة أمر مقضي
وجمعنا ذاك لنتدبر
كيف نمنحها استقرارا
فتؤول لكيان مرضي
-- أما أنت
فالباحة أمامك و خيارك
فادعوا من شئت من الغنم
من يقبل فاتبعه مسارك
حتى لو تبعوك جميعا
فهنيئا فالساحة هنالك
فتجول بهم على الرحب
ما بين دروب و مسالك
--- لكن حتى يحدث ذلك
فالباحة موضع سكنتنا
وعليها نركز فكرتنا
فاتركنا حتى نتدبر
ما يُنقذنا من فتنتنا
-- كبش آخر ثاغ سريعا :
المسخ سر مأساتنا
المسخ أصل شقوتنا
المسخ هنالك يُحاصرنا
ما أن نفرغ سيُبادرنا

حتى يُفشل خطتنا
ما لم نتمكن من لجمه أو إقصائه
ستؤول إلى البؤس حياتنا
-- كبش ثالث ثاغ بألم :
المسخ لا يمكن لجمه
كما لا يمكن إقصاؤه
من منا لا يعلم ذلك
من منا سيخنه ذكاؤه
واجهناه كي نقتله
والثمن كان إرضاءه
بدل الرأس مُنح إثنين
وبذلك ازداد دهاؤه
من منا غادره مرة
حتى لا يسمع إغواءه
رغم يقين الكلّ بخبثه
وسوء ما ينتجه بلاؤه
نسمعه إذ يقرب منا
وكأننا يُعجبنا بقاؤه
--- أتراه لعنة من الساحة
ترسله كي تنقم منا
لذا تحميه و تدعمه
حتى بالهمّ يُحاصرنا
فنظلّ دوما نتخبط
ننتكس كلما أقدمنا؟
--- أم أنه كبش ساقط
وُلِد شائه
من ثم يسعى بدهائه
حتى يُسقطنا و ننحدر
نشبهه جميعا في دائه؟
--- ولعلّه شيء آخر

شيء لا نعلم مصدره
لكن ما نعلمه يقينا
أن المسخ ما أقدره
وأن جماعتنا تُغوى
إذ تُبصره
وأنه ليس هناك
وسيلة كي نحذره

-- كبش رابع ثاغ بحسم :

أصل المسخ لا يعنينا
وإن كنا بالطبع نرفض
أنه من الساحة يأتينا
فالساحة ليست سوى جمد
لا يعنيها ما يعنينا
كما أننا نعرف أصله
فالمسخ قد رُبّي فينا
نعرف ضيعته و والدته
ومساره مذ به بُلينا
لكننا لا نعلم طبعا
كيف نُذقه طعم حِمام
وكيف ينمو في الباحة
دون طعام
وكيف لا يُجهد أبدا
دون منام
تلك أمور في نظري
لا تشغلنا
فالهام كيف يفتننا

--- المسخ برأيي يُشبهنا
هو صورة للهابط منا
لكنه محض هبوط
لا يشغله ما يشغلنا

ذات صلبة لا تتشظى
لا يقسمها ما يقسمنا
--- ذواتنا تقسمها الرغبة
ما بين هبوط و سمو
أما المسخ فمتناسق
سُفل مطلق دون علو
ما يفسّر قدرته
بل حنكته دون غلو
--- فتناسقه و تفرغه
لشق واحد يجعله
لذاك الشق يتقنه
ولأنه شق يُشبهنا
لذلك لا نستهجنه
بل نطرب حين يأتينا
ويبث فينا مفاتنه
فالذات تراه يُشبهها
لذلك رغم حقارته
ترضاه و لا تبعد عنه
لكنها ذات منقسمه
إذ قسم فيها يأباه
ويقاوم حتى يُبعده
كي لا يأتي ما يخشاه
--- والقسمة تلك تُشرفنا
إذ تمنح معنى لصعودنا
فبرغم تسفلنا الكامن
هنالك في عمق ذواتنا
ما زال بقدرتنا نقاوم
ونصعد وفق إرادتنا
--- في عصر التجوال المزعوم
لم نُدرك سرّ سعادتنا

فعلاقات الغنم هنالك
لم تعطِ الفرصة لحِطتنا
لذا كانَ صعودا بلا معنى
لم يمنح شيئا لذواتنا
وإلا أجدادنا رضوه
وما تركوا الساحة لباحتنا
ـ لذا فكرة أكباش اللعنة
هى محض حَدر لحياتنا
أو بالأحرى استسهال
يدعو لهروب لذواتنا
من وجه سر فتنتنا
لكنها تنسى أن العظمة
في أن ننجو بذواتنا
رغم قسوة فتنتنا
ـ لذا أدعوكم لمكوث دائم في الباحة
ولنقبل وضعنا بسماحة
لا يُخجلنا سقوط الذات
لكن طبعا لا نقبله
ما بينهما هناك مساحة
فالخجل من أمر واقع
هو حمق بالغ بصراحة
أما تقبله و رضاه
فتحدر بالغ و وقاحة
ـ الذات لأنها تسقط سقطت
وبذلك يرتفع الخجل
لكنها تصعد أيضا
وذاك بجهد ينبذل
من يرضى سقوطه محتجا
هو فرد محتقر نذل
ـ تلك القسمة في الواقع

هى ما يجعل لوجودنا معنى
فصعود لاحَدرة فيه
هو محض فعل بلا جدوى
وهبوط لا يدري صعودا
هو عدم مطلق بلا مغزى
إن قورن وجودنا بالمسخ
لكنّا من المسخ أرقى
فنحن نسعى لنظام
والمسخ يسعى للفوضى
وظني أن مأساته
أنه بحقيقتنا أدرى
فحتى يحرمنا صعودا
نراه في فتنته يطغى
خوفا من أن نرقى و نتركه
في شعاب الحِطة يتردى
--- لذا فالمسخ لن يهدأ
سيظلّ يسعى لنسمعه
أما نحن فإحدى ثلاث
--- قلة تتحدى مخازيها
وبذا تُفشله و تردعه
--- وقلة أخرى منحطة
من دون جدال تتبعه
--- وكثرة تنوء بكلكله
وتسعى حتى ترفعه
أولاء تشظيهم واضح
والمسخ ليس مرجعه
بل مرجعه للذات
فهنالك أصله و منبعه
--- المسخ ليس سوى مُحرِّض
للذات لأمر تهواه

وتسعى حتى تصنعه
لذلك ينجح مسعاه
وعزّ من لا يوقعه
--- لذلك فالرأي عندي
أن المسخ أمر واقع
وحيث أنه يأتينا وفق هوانا
فليس لفتنته دافع
وإن ردت صفوتنا كيده
فالأغلب يأتيه خاضع
لكننا نملك إرادتنا و بقدرتنا
صعود كالضوء الساطع
--- وصعودنا ذاك فردي
كلّ وفق قدراته
فالبعض لا يسقط أصلا
بوسعه تحدي رغباته
والبعض يسقط جزئيا
من ثم يُصوب خطواته
والبعض يتعمق أكثر
وبصعوبة يستنقذ ذاته
والبعض ينحدر عميقا
حتى تبتلعه سوءاته
--- وصول المسخ إلى الغنم
يقين لا يمكن رده
وصبّ فتنه بمسامعهم
أمر لا يمكنهم صده
أما ما ينتج عن ذلك
فأمر للغنم مرده
-- لذا
فلندع المسخ و فتنته
ولنتحوّط كي نُفرغها من فحواها

وليهدينا سابق خبرة
كنّا في الباحة كسبناها
فمن سابق خبرتنا مثلا
--- أن لرعاع الباحة فطنة
نسعد إن نحن تبعناها
--- وأن تركيز السلطة يُفضي لشرّ
ويحرك إحَنا نأباها
حسد مع غل مع صرعة
والسرقة تطغى بطغواها
--- وأن حُسن الغض مع الحسم
لكلّ الغنم منجاها
--- ولنتذكر أن غايتنا
أن نضمن مصلحة باحتنا
وأنه يمكننا ذلك
رغم تعدد وجهاتنا
ورغم فطنة المسخ
وحرصه على فتنتنا
بالثقة في فطنة الغنم
وبحُسن الغض مع الحسم
--- الفِطنة في الغنم حدّ
لفتن المَسخ يرتسم
فالبعض سيسقط في الفتن
والبعض منها سيعتصم
لكن الكلّ سيتوازن
بمصلحة الباحة يلتزم
--- أما حُسن الغض فمتنفس
لمن سربله المسخ بفتنته
ما لم يُضبط أو يطغى
وتعمّ الباحة سوأته
بل حتى إن ضُبط و هادن

وأرضت خصمه حنكته
ما لم يرفع للهيئة أمره
إذ ذاك تحق عقوبته
بحسم و بدون تهاون
وبذلك تُكسر شوكته
وبفعله يُوسم في الباحة
وبها تنحط هيبته
--- أما الملكية فستعمم
ما دُمنا في الغنم نثق
فنغلق للصرعة بابا
وبذلك فعلنا يتّسق
ستظلّ الباحة أقساما
كلّ منها ينغلق
كلّ منها يحصر أسرا
بينهم القسم ينفلق
كلّ أسرة مثل الأخرى
ليست عن بعضها تفترق
والأسرة تمتلك نصيبها
ليهدأ داخلها الشوق
--- فلتفعل فيه ما شاءت
فالعائد سيعود إليها
إن حسنت عملا مع جدّ
العشب سيزداد لديها
وستكثر عشبة متعتها
والخير سيحلّ عليها
أما إن كسلت أو خملت
فالقحط مصير يؤذيها
والحاجة ستلجئها فتخسر
أرضا تملكها بأياديها
--- والملكية أمر يُنقل

فأسرة بقسمتها تفشل
ستسعى حثيثا كي تحصل
على زاد يحفظها حية
وذاك سيلجؤها فتبذل
ما كان عندها ملكية
وإن ظلّت مع ذلك تفشل
فستفقد كلّ الملكية
حينها عند الأخر تعمل
كي تجني زادها محنية
--- الملكية ليست لهوا
بل بنت نظام الملكية
من يُكثر أملاكه يضمن
في الباحة عيشة مرضية
أما من يفقد أملاكه
فسيرضى في الباحة دنية
--- والملكية تنقل بمقابل
ولنجعله عشب المتعة
والأمر يتم بتراض
دون تدخل من السلطة
إن رغب طرفان تبادل
فليضعا شروطا للصفقة
وليلتزما بما اشترطا
بكلّ تراض عن رغبة
وإن بدر خلاف بينهما
يُرفع أمره للهيئة
--- وعشب المتعة مقياس
كلّ الباحة ترضاه
من رغب في نقل ملكية
لن يرضى وسيطا إلّاه
من عمل في قسم الآخر

سيكون أجره إيّاه
من رغب في عشب الآخر
فسيمنحه وسع يداه
--- أما الهيئة فستحرم من الملكية
بل من عشب المتعة تؤجر
على كلّ أسرة في الباحة
جُعل من العشبة سيقرّر
جُعل لا يُثقل كاهلها
في نصيب الأسرة لا يُذكر
لكنه في المجموع
سيكفي الهيئة بل أكثر
لتنفق منه على الباحة
إن غدر زمان أو أدبر
--- أما عن الهيئة فتشكيلها
مرجعه للغنم تماما
كلما مرّ على الباحة عام
تجتمع الباحة أقساما
كلّ منها يختار كبشين
وخياره يصير لزاما
على كلّ الباحة تتبعه
رضاء تاما و وئاما
--- وليس على الغنم حِكر
فيما تتخيّر
وليس على الهيئة إلزام
أن تتغيّر
ما دامت الغنم ترضاها
تحكم أكثر
فالأمر يُعرض سنويا
والغنم تقرّر
حتى لو رضيت بشياه

فالهيئة برغبتها تؤمر
--- والهيئة محورها أسر
من يرقى إليها برغبته
يرقى إليها بأسرته
ليترك أرض قسمته
لمن فقد فيها مكانته
--- بذلك نفرغ مسعى المسخ
من مضمونه
فليسعى بيننا ما شاء
وفق ظنونه
وليتبعه من شاء
حسب شؤونه
ما دام في ستر الغض
سرّ لن يُكشف مكنونه
أما إن سقط في الكشف
فالحسم هنالك سيُهينه
وليرقى منا من شاء
وفق يقينه
وليفسد للمسخ مساعيا
ملأ يمينه
--- فسعي المسخ في الباحة
لن يحرم باحتنا رقيا
رغم أنه لن يهدأ
وسيسعى سعيا أبديا
كي يوقعنا في غوايته
سيسعى لئيما و غويا
والبعض منا سيتبعه
ينحدر بئيسا و غبيا
والبعض سيعصمه وعيه
ويرقى مكانا علويا

لكن باحتنا في جملتها
ستنال سعدا حتميا
فنظامنا من تلك الجهة
يجعلها حرما محميا
--- فالكلّ قد صار يملك
وتُغنيه ملكيته
وحفظ الملكية غاية
والكلّ تدفعه غايته
وذاك سيفضي لتوازن
سيُخزي المسخ و فتنته
فالبعض إن تبعه بحمق
فالأغلب تعصمه حكمته
إذ من يرضى بتهاون
بقهر يشمل أسرته
--- كما أن نظامنا بالهيئة
أغلق بابا للإغواء
فلست أدري ما يفعل
المسخ لو أحدنا جاء
--- فالسلطة ما عادت تُغوي
فالهيئة صارت لا تملك
بل صار الأمر معكوسا
فلتدع الهيئة كي تملك
فالهيئة أشبه بالخادم
عند الغنم التي تملك
فالغنم هنالك في الباحة
تستمتع حرة بما تملك
والسلطة دورها تحميها
تحفظها و تحفظ ما تملك
من دون تدخل يُزعجها
يُفقدها بهجة ما تملك

بل إن بقاءها يتعلق عاما عاما
برضاء الغنم التي تملك
--- بل حتى السرقة و الرشوة
ما عادا مصدر إغواء
فالهيئة نصيبها من العشبة
يحكمه نظام بجلاء
والكلّ سيحمي مصلحته
لن يقبل فيها إقصاء
--- لكن المسخ لن ييأس
وسيسعى لينشر فتنته
وسيجد آلاف السبل
ليصيب البعض بلعنته
لكن باحتنا في المجمل
صارت أبعد من لوثته
لن يتبعه سوى أفراد
منهم من يستره الغضّ
ومنهم من يُفضح بالحسم
وسينجو منه أفراد
منهم من يحيا بسلام
ومنهم من يرقى كالنجم
لكن الباحة في المجمل
ستظل دوما تتنامى
وستحظى دوما بالغُنم
--- بخطتنا تصبح باحتنا
كيانا من المسخ أقوى
فليسعى فيها ما شاء
وليفتن فيها و ليطغى
ستظلّ دوما تتنامى
ورغم فتنته ترقى
--- في السابق أخطأنا حين

تحدّينا المسخ لنُقصيه
فالمسخ ابن مباذلنا
وسنسعى حتى نُرضيه
فالحلّ كان في تركه
ليسعى ملأ مخازيه
وكلّ منا و قدراته
في قبوله أو في تحدّيه
أما باحتنا فنُحيلها
لكيان يُخزي مساعيه
يدعمه تنوع وجهاتنا
ومن فتن المسخ تحميه

-- ثاغ الجمع :

نعم الفكرة
وكأنها عطر يسري
لنُطبقها على واقعنا
والباحة في دربها تجري

-- على مضض أكباش اللعنة سكتوا

غصّوا بفكرتهم على قهر
فالخطة بفكرتهم فخ
ليست غير خداع يسري
والباحة غافل يتبعه
من دون روية أو حذر

مسخان

١

الغنم من فورها شرعت
لتنفذ فكرتها بفخر
أراضي الباحة قسّمتها
لتُملّك فورا للأسر
والكلّ يسعى و يجتهد
ليراكم عشبا في الصخر
والمسخ كذلك لم يفتر
ما زال يُمعن في الغدر
ويطوف الباحة بفتنته
كي يُوقع غُرّا في الأسر
لكن الباحة في جملتها
انطلقت ترفل في النصر
ترقى من وضع إلى وضع
ترقى على فتن أو غدر
--- فرغم مساع للمسخ
ورغم كثرة أتباعه
إلا أن الباحة جميعا
صارت أبعد من أطماعه
والكلّ فيها يبدو سعيدا
وكأنما شُفيت أوجاعه
فالباحة كالنجم الصاعد
من يتمكن من إرجاعه
-- لكن ظلّ هناك تساؤل
لم يُطرح يوما من أحد
وإن كان الكلّ يُدركه
وكأنما صمت عن عمد
أو أن طرحه يُرعبهم
إذ يفتح بابا للكمد

إذ يجعل نصرهم هباء
ويصيروا فراغا في اليد
--- فالمسخ و عن سابق خبرة
يكيد الباحة عن قصد
إذ تخرب يسمن و يصح
ويصير معافا كالطود
وإن تعمر يذبل في نحافة
وكأنما ميت في اللّحد
فما بال نموه يتزايد
والباحة تسعد في الجدّ؟
-- أيكون نموه مرجعه
إلى أن الكثرة تتبعه؟
الأغنام ليست حمقى
هي تدري المسخ و منبعه
وتدرك أنه يتزايد
بسقوط قطيعها أجمعه
فلو تبعته الغنم جميعا
وكان قطيعها يتنامى
لكان ذلك يُوجعه
فالأمر ليس للكمّ
بل للكيف مرجعه
لذا تتزايد حيرتها
فهنالك خطأ تصنعه
وعليه يتغذى المسخ
لكنها تجهل موضعه
--- فالباحة تأتي بالبِشر
والعمل يمضي باليسر
والعشب تركمه تلالا
وعشب المتعة في الكثر
--- لكنها مع ذلك تشعر

أن سعادتها جوفاء
لسبب ما لا تعرفه
الذات بداخلها خواء
ما تُحصّله من متعة
يضيع سريعا كهباء
فتسعى كي تجني مزيدا
سعيا خلف الإرضاء
لكن الدورة تتكرّر
ينقلب نعيمها لبلاء
--- سعادتها كعشبة متعتها
تُمتع لكن لا تُشبع
وتؤول لبعر في الموعد
والبطن لخواء ترجع
من ثم تسعى لمزيد
لن تفتر يوما أو تُقلع
--- ما أشبه ذاتها بإناء
ملؤه يُرضيها و يُسعدها
لكنه إناء مثقوب
أشياؤه سوف يُبددها
لكنها لا تدري شيئا
عن ثقب فيه يُجهدها
لذاك فهي لا تفهم
إلام إناؤها يُعاندها
--- فهي حقا لا تدري
سر تبدد سعادتها
فالعشب يملأ باحتها
وأراضي الباحة بحوزتها
والسلطة لانت عريكتها
بل إن المسخ بحنكته
صارت تُعجزه مهارتها

--- لكنها رغم الحيرة
لم تتوقف لتُجيب
استفاهمها ظلّ مفتوحا
يُصليها نارا بلهيب
فحياتها آلت لتسارع
وتسارعها جدّ رهيب
فهنالك أرض تملكها
تتطلب سعيا لتطيب
فالعائد صار يعنيها
فلتسعى ليوافيها نصيب
من قبل شروق للشمس
لمساء يجلبه مغيب
وهناك علائق في الباحة
من يغفلها سعيه يخيب
من يسعى في الباحة ليكسب
هو فرد زكي و نجيب
أما من تُوقفه الحيرة
ففرد للفشل ربيب
فلتعمل كي تُكثر مالك
فالعمل للحيرة طبيب

-- الباحة آلت لكيان
يتبدى سليما و معافا
لكنه من داخله
يتشظى جهدا و خلافا
لكن صحته تدفعه
حتى لا يجبن خوافا
لن يركن يوما لظنونه
ويكون لماله متلافا

-- أمران اجتمعا على الغنم
دفعاها في الباحة دفعا

جعلاها دوما في عجلة
لا تدري للراحة طعما
وكلاهما يسعى للذات
والذات تطيعهما جهرا
--- أحدهما يسعى ليُغنيها
ويراكم أملاكها ركما
إذ يدفعها لبذل الجهد
لا تشكو تعبا أو قهرا
--- والآخر يسعى ليُرديها
إن تتبعه تزداد حقرا
إذ يدعوها لكل رذيلة
لا يدري عتبا أو لوما
ما دامت تُعزّز أملاكها
لن تُقلع عن فعلها يوما
--- أما عما يُرقي الذات
ويمنحها في الباحة سلما
ما عادت تبحثه الغنم
فالغنم لا تملك وقتا
--- كما أن الغنم في ثقة
من حُسن حبكة خطتها
فالباحة في رقي دائم
ما عادت تشكو نكستها
وأعشاب الغنم تتزايد
وكذلك عشبة متعتها
والمسخ برغم مساعيه
ما عاد بوسعه يُشتتها
فبرغم كثرة أتباعه
الباحة تواصل مسيرتها
بل رغما عن سعيه و فتنه
فالغنم ترقى بفِطنتها

--- أما عن ذاتها و خوائها
وعن سر تبدد سعادتها
وعن سر تزايد المسخ
رغم تنامى باحتها
فأمور جهلها إياها
لا يعني فشل خطتها
فلتمضي في خطاها بثقة
ولتملأ بالغُنم حياتها
فلعلّ الآتي يُجليها
ويُزيل حجبا غطتها

٢

الغنم جميعا في ثقة
أن خطتهم ناجحة
لكن أكباش اللعنة
بصروا خطتهم جائحة
والباحة كجثة برؤيتهم
تتصاعد منها الرائحة
لذا جمعهم سيدهم
وانتحى بهم في ناحية
علّهم يتبعون فكرته
إن ظفر منهم بصاغية

-- بهدوء و بلطف بالغ :

أحسبنا جميعا نتفق
أن تلك الباحة لعنتنا
منذ أن سربلنا الرق
وتركنا بمحض إرادتنا
تجوالا يرضاه الذوق
ومددنا طوعا أعناقنا
حتى يحصرها الطوق
و تسير على البؤس حياتنا

--- لكننا وحدنا من باكر
أدركنا سبب مصيبتنا
مذ ذاك و نسعى في الباحة
حتى تتبعنا جماعتنا
وننجو من قيد الباحة
وننطلق نحو ساحتنا
--- لكن جماعتنا رفضت
وظنّت أن بمكنتها
صوغ خطط جدّ حكيمة
تمنحها السؤدد في باحتها
وبرغم الفشل المتتالي
لم تفقد يوما عزيمتها
--- الغنم و بأسف بالغ
تؤتى من قِبل فِطنتها
إذ فِطنتها أمر واضح
--- فبفطنتها كانت تدرك سرّ الفشل
من ثم تنسج خطتها
ترجو أن تظفر بالأمل
وبرغم سقوط متتالي
لم تُقلع يوما عن عمل
--- فِطنتها دوما يصحبها
كبر دائم
والفِطنة المصحوبة كبر
همّ دائم
صاحبها يسعى إلى حتفه
مثل النائم
--- فالكبر يدفعه أماما فيورّطه
والفِطنة تُبدع أفكارا لتُبرّره
كالخائض في تل البعر كي يعبره
فالذوق يأباه مخاضا

لكن الكبر يؤيده
والفِطنة تأتي لتدافع
خطوة أخرى
هان التل
تُوشك تعبر
لا تتراجع
كبرك يأبي
حتى في التل تُغرقه
--- ذا حال الغنم في الباحة
مذ بها قرّت
كلما فشلت خطتها
أو كارثة فوقها حلّت
تهرب لآمام على فور
كي تتفلّت
فتغوص عميقا في الوحل
كلما فعلت
وكلما زادت في العمق
كلما ضلّت
--- الغنم تخوض في طريق
لن يُجديها
فطريق الملكية حريق
لن يُنجيها
أكثر من متع زائلة
لن يُعطيها
و سيُبليها
بخلال السوء المنحطة
ما يُشقيها
--- وكباش الحكمة في الباحة
عندما تزعم
سموا عبر الملكية

تتبعه الغنم لتتقدّم
لا تأتي حقيقة في الواقع
بل تتوهّم
فالملكية ثقل طاغ
تحمله الذات فتتحطّم
وكلما منه تزداد
كلما تندم
فالذات لتسمو تتخفّف
لا بالأثقال تتجشّم
-- الملكية نقيض سمو
حوضا ماء و انتصفا
إن رمت أحدهما تملأ
تأخذ من الآخر مغترفا
لذا إن تُربي أحدهما
فالآخر تنسفه نسفا
--- ونحن إذ ندعوا الأغنام
لحياة الساحة و تجوالها
إنما ندعوها لسمو
وفرح يغزو أوصالها
لكنها مع ذلك تأبى
و تصمّ عنا آذانها
--- نعلم طبعا أن الباحة
رزقهم فيها مضمون
كما تأويهم دون تجول
والمسكن فيها مأمون
لكن ليس دون مقابل
بل ثمن ذلك مغبون
فالثمن فراغ في الذات
يتركها كعشب مطحون
--- كنا في السابق نصطبر

محبة منا في الغير
فالغنم جميعا إخواننا
نهواها و نرجوها بخير
كنا ندعوها و ننصحها
علها تتبعنا في السير
--- كنا نراهن على فِطنتها
فلعلّها تُجلي بصيرتها
وتُدرك عمق مزالقها
حينما تفشل خطتها
وتترك عِنْدا تتبعه
ثم تتبعنا بفكرتها
--- كانت كلما وضعت خطة
نصطبر حتى تتكشف
وعندما تظهر مزالقها
نتمنى الغنم تتأسف
وتتخلى عن حوض الخطط
وتأتي حوضنا كي ترشف
ورغم أنها لا تفعل
كنّا حيالها نتلطّف
--- كان الفشل المحتمل
يجعلنا للغنم الأمل
فلنبقى في الباحة كحلّ
إن ضاقت بالغنم السبل
لا أن نسعى لننقذ ذاتنا
ونتركها يأكلها الفشل
فذاك هروب نرفضه
فنحن يُهذبنا البذل
لذلك نبقى في الباحة
وفعال الغنم نحتمل
إذ نحن نرنو لسمو

وسمُونا محوره الفعل
لا أن ننجو بذواتنا
ونترك غيرنا للذلّ
لذلك كنا نصطبر
ما دام هنالك من أمل
--- حتى كانت آخر خطة
فأطاحت أرضا بالأمل
خطتهم تلك بحنكتهم
تحرمهم من أمل الفشل
حيث تتمتع بمرونة
تجعلها تمضي من خلل
عقبات الفشل المتناثرة
من دون تلكؤ أو كسل
لذاك الباحة تتنامى
رغم تكرار الزلل
--- الفشل كان فرصتهم
ليواجهوا نفسا طاغية
من ثمّ يسعون في ذواتهم
خلف أفكار منجية
ما يفتح بابا للأمل
في أن يختاروا العافية
أما و قد حُرموه
فهلكتهم صارت حتمية
--- خطتهم تشبه نيرانا
تسري في الذات تُبددها
لكن ألسنتها تتصاعد
تغوي الأغنام و تعجبها
فيظنوها نار هداية
تجذبهم نحو مدافئها
لا يدرون أن اللهب

مبعثه ذات يحرقها
فاللهب دليل الأغنام
على حسن خطة وضعتها
لذلك تُبصرها نجاة
رغم ما ينتاب ذواتها
--- الغنم يسكنها خواء
تُدركه و يُبطل فرحتها
خواء يُسلمها لحيرة
لا تملك سبر مغالقها
إذ رغم نجاح متتالى
ما زال البؤس يُطاردها
لكنها تحسب أن
كثرة أملاكها ستُنقذها
لذلك لن تترك حيلة
تُغنيها و تُكثر أملاكها
حتى تعلق في الدور
من دون فشل يُنجدها
--- فالعمل المضني في الحقل
سيراكم طبعا ثروتها
وغض الهيئة في الباحة
سيعزّز فرصة حِطتها
وتراها حنكة تمكّنها
لتكثر من ملكيتها
ملكيتها تلك ستُحمى
عبر صرامة هيئتها
فالهيئة تُحاسب من يُضبط
وتُدير الباحة بحنكتها
وتزايد ملكيتها
سوف يُعزز خطتها
سوف يجعلها تتمسك

بسلوك يُنمّي ثروتها
--- تعب مضني
حرص بالغ
حِطة خُلق
عَلى ذلك ستسير حياتها
--- لن تُمنح فرصة كي تبحث
خواء يعتري الذات
لن تثبت موضعها لحظة
كي تُدرك عمق الدركات
التى تبلغها بأفعالها
فأوان العودة قد فات
والغنم علقت في الدورة
وحقّ عليها اللعنات
--- لذلك فالمسخ يسمن
رغم تنامي الباحة
فالغنم و بأسف بالغ
لم تُدرك حقيقته صراحة
فالمسخ ينمو على ذواتهم
لا يعنيه نمو الباحة
فخواء الذات يُسمنه
ويجعله يتباهى وقاحة
--- وكأن الغنم إذ رغبت
أن تُقصي المسخ بخطتها
صنعت مسخا آخر غيره
صنعته بمطلق رغبتها
وذواتها بينهما نهبا
تتشظى هناك بحرقتها
--- فالمسخ الأول يدفعها
حتى من عليائها تهوي
والمسخ الآخر يدفعها

حتى تكتنز ما لا يجدي
--- المسخ الأول يدعوها
لشمائل منحطة تُردي
والمسخ الآخر يقبلها
إن كانت تحفظ ما تجني
--- المسخ الأول يغويها
لتحقق مصلحة الفرد
والمسخ الآخر يتوازن
كي تنجو الباحة من الهدّ
--- والذات إذ تعلق بينهما
لن تعرف شيئا عن صَعْد
سيظلّ خواؤها يتزايد
لن تقوى يوما على صدّ
--- والذات العالقة هنالك
لن تدرك سر محنتها
فالمسخ الأول يُرضيها
إذ يتجاوب مع حِطتها
والمسخ الآخر يعجبها
إذ يتجاوب مع رغبتها
وما بين الحطة و الرغبة
الغنم تسعى بخطتها
ما عاد بوسع الأغنام
أن ترجع لحُرِّ ذواتها
فمع المسخ الواحد كانت
حِطتها تُفسد خطتها
أما في ظلّ المسخين
فالخطة ضمنت حصانتها
لذا ليس هنالك من أمل
يجعلنا نرجوا عودتها
--- ما عادت تلك الباحة دار مقام

لكباش اللعنة و أغنامها
كنا نقطنها على أمل
في الغنم و حسن أحكامها
والأمل تبدد فلنرحل
للساحة و روعة أيامها

((تمت))